جمهورية مصر العربية
جمعية إبداع الثقافية
(بيت كل المبدعين العرب)
المشهرة برقم (٢٠١٦/٣٣٧٦)

سلسلة
إبداعات أدبية

نائب رئيس التحرير
الأستاذة الشاعرة / سميرة عبد الفتاح محمودى

رئيس التحرير
الأستاذ الشاعر والأديب والناقد/ سامى عبد الغنى ناصف

رئيس مجلس الإدارة
الشاعر والأديب دكتور/السيد محمد صابر

العدد الثانى / ديسمبر ٢٠١٧

كتاب القصة

بطاقة الكتاب

المؤلف : سلسلة إبداعات أدبية (القصة)

المؤلِّف : جمعية إبداع الثقافية (السيد محمد صابر)

التصنيف : القصة

رقم الإيداع : 2083- 2018

عدد الصفحات : 66 صفحة

رقم الإصدار الداخلي : 117

تاريخ الإصدار الداخلي : يناير – 2018 الطبعة الأولى

العدد الثانى (ديسمبر 2017)

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للشاعر، ولا يحق لأى دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب الا بموافقة كتابية وموثقة من الشاعر

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

سجل تجارى : 13242

بطاقة ضريبية : 165-5-00031-572-01-35

رقم التسجيل : 544-662-202 2017-7

E-mail: alnile waalforat@yahoo.com

twitter: النيل والفرات

youtube: alnile waalforat@yahoo.com

facebook: alnile wa alforat

هاتف : 01011256943 - 01116202218 - 01202541192

الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة ١٣ - عقار ٣٠٤ - الدور الثانى - أمام سنتر ١٣

سلسلة

إبداعات أدبية

قصة قصيرة

العدد الثانى/ ديسمبر 2017

عبدالمنعم يوسف حسن

محل الميلاد أسيوط الفتح

كانت بداية الكتابة في بداية المرحلة الإعدادية وبفضل من الله ثم لجمعية إبداع الثقافية وأخص بالذكر الشاعر الكبير الدكتور السيد صابر كان له الفضل في خروج كتاباتي إلى النور وقد حصلت على المركز الأول على مستوى الوطن العربي في مسابقة حروف من ذهب لقصة صورة في المهد وقد حصلت على الخامس في مسابقة حروف من ماس وكذلك الظهور على شاشات التلفزيون في برنامج حلم جيل لعدة مرات وكذلك في اذاعة القاهرة الكبرى واتمني أن يصل فكري وكتاباتي إلى الجميع في مصر والعالم

الراعي

****

قمم شاهقة ووديان غائرة وأشجار جفت أوراقها وحيوانات بانت عظامها الجوع يقتل المكان فا لأر ض جفت أبارها وعيونها كنت أدور بعيني فكل شى ء ساكن ساكن ينتظر المجهول لا حركة سكون قاتل قاتل قاتل حشرات تنتظر الليل لتخرج تبحث عن طعامها حيوانات مفترسة تتجول في المكان الكل ينتظر وبين الغروب والشروق دعوات تخرج حتى من أنوف الحيوانات الكل أوشك على الهلاك حتى الطيور الجارحة والأليفة كلها ترافق القطيع أملا في سحابة صيف أو قطرة ماء فجأة يخرج الراعي عن صمته لم لا نترك هذا المكان ؟لماذا نبق هنا ؟أنبقى حتى الموت كل شئ ينذر بالهلاك فإن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد فترك المكان إنقاذ لحياتنا حتى الجوارح والحيوانات تسعى للرحيل الأشجار جفت والحشائش احترقت وتبقى شجرة السنط شاهدة على المكان .

قديمة قدم البادية قد تسبق الآباء والأجداد في عمرها شكلها يوحي بالغرابة بها فجوات وتعاريج وجحور وأماكن للجلوس وأماكن للحب والغرام شقشقة العصافير تحتها لها طابع خاص جذعها عليه نقوش وتواريخ فهي علامة من علامات البادية تراها من مسافات بعيدة لها ماضي يوحي أنه جمعت قلوب الأحبة الكل يحكي عنها ويقول أنه أشترك في زراعتها فأنت لاتستطيع أن تجزم لمن تكون؟ فهي دائما تجمع بين القلوب منصور الراعي شاب في الحادي والعشرين صارم كالصخور عيونه غائرة نظراته حائرة لا يخاطب أحدا يسعى دائما منفردا حتى مع قطعان الأغنام لاتراه يتحدث قلبه كالجبال لم يحلم هو ولا قبيلته أن يسقط في فخ الغرام لكنه رأى

ما يشبه ريم الوديان عيونها حور يختلط فيها البيض بالسواد شعرها يتدلى كسلاسل السود تحمل في يدها مغزل يدور كدوران الأرض
كان يسيران في طريقين مختلفين متعاكسان تقابلت العيون كان الخجل والحياء سيد المكان لكن طالت النظرة وتوقف كل شئ القلب يدق دقات كل شئ يسمعها ما هذا منصور لم يكن في يوم لينظر إليها غادة تنظر في خجل همس يدور بدون كلمات ولا حروف جوارح تتحرك بدون حركة جسد يهتز أنه زلزال الحب لم تستطع غادة أن تملك نفسها ولا قلبها ولا جوارحها كانت حياة جديدة تبدأ وحياة تنتهي في البادية .

بدأ الراعي وأهل البادية التحرك كانت حركة كحركة الجبال والصخور فالمكان رغم ما فيه من الذكريات العزبة والقاسية قد قضوا فيه سنوات لم يخطر ببال أحدهم أنهم سيتركوه تحركت القافلة وكأن الجبال تتحرك معها والوديان تسير خلفهم كل صخرة وحبة رمل يسمع لها صوت ككلمات الوداع ودموع المحبين حتى الأشجار الجافة تسمع لأوراقها خشخشة كأن قطرات من الماء تسقط في قدر حار القافلة تسير من مرتفع إلى واد ومن واد إلى سهل فالأمطار لم تسقط لعدة أعوام حتى الصخور تشكي حالها والطيور تشكي وجعها والحشرات تحكي ألمها كل ذلك والخواطر تدور في قلب منصور وغادة والنظرات الحائرة هل ياترا

سيجمع القدر بينهم أم تفرق بينهم الأيام كان يخشيان من توقف قبيلة في مكان والأخرى في مكان أخر فكلما توقف السير أو تحرك تسقط دمعة حزن ودمعة فرحا كان والد منصور شيخا لجموع السائرين هو الذي يأمر بالتحرك والتوقف ترك الحبيبان شجرة السنط التي ولد بجوارها حبهما تحرك أهل البادية بعد توقف دام لعدة ساعات للراحة والغذاء سار الجميع ولكن في هذه المرة كانت الحركة

أخف والأمل قريب في الحلم الذي يسعى من أجله الجميع وهو وجود الماء تعب الجميع الشباب والرجال والنساء والأطفال حتى الإبل أعياها طول السفر كل ذلك وهمس العيون يجمع بين الحبيبان فكانا ينحنيان في الخلف لدقائق كل منهم يهمس للأخر بما يحلم به ثم يعودان للسير كلا منهم في ناحية خوفا أن يعرف سرهم أحدا .

فجاءه الأصوات تعلو والصيحات تملأ الأرجاء ماء ماء ماء ماء ماء ماء انطلق الجميع إليه الكل يشرب يروي عطشه الحيوانات الأطفال منصور غادة يلتقيان الحمد لله الحمد لله فجاءه هناك أكواخ أكواخ أكواخ حيوانات توقفت دقات القلوب خيم الحزن على الجميع الكل يجلس في مكانه بدون صوت ولحركة

جمع الشيخ الشباب والرجال ماذا سنفعل في الأمر اتفق الجميع على أن يلتقوا بأهل المكان في حديث يكون الود سيده فإذا قبلوا ليحيوا معا فلله الفضل أما إذا كان غير ذلك فستكون الحياة للأقوى تقابل شيخ القبيلة معهم ودار حوار وترحيب وخرج الرجال يحتفلون ويفرحون الكل سعيد تقابل الحبيبان وعيونهم تقول أنهما لن يفترقا مرة أخر وسالت دموعهما فرحة وبعد ذلك جمع بينهم الحب والزواج وتوفى والد منصور وأصبح هو شيخ القبيلة ورزقه الله الأولاد الصالحين ونبتت شجرة سنط أخرى

الكنز المفقود

كنا نعيش في كوخا على ضفاف النيل فيرسم الشروق مع عسبان النخيل جدولا من الفضة ومع الغروب ذهبا متناثرا فوق ثماره نعيش في هذا المكان الغني بكل شيء ونحن الفقراء في كل شي أبي يعمل أجيرا في مزارع البيه من الصباح حتى المساء لكي يسد حاجاتنا من الطعام والشراب نستيقظ مبكرين مع شقشقة العصافير فهي تنام على الأغصان التي تتدلى من سقف بيتنا فالسقف به فتحات تسقط منها الأمطار شتاء وتلسعنا حرارة الشمس صيفا وإذا مكثت في بيتنا للحظات تجد من يسكن معنا من الزواحف والحشرات فأحينا تسير وتقف بجوارك ولها جحور ..... وعند النوم يخيم علينا ظلام حالك والنوم كابوس فقد تجد من يخرج من جحره لقضاء حاجته أو لينقض على فريسة ما ... فالليل طويل والشروق أملا بعيد المنال ..... لنا عنزة وحيدة نشرب من لبنها القليل وفي نهاية العام نبيع صغارها لنشترى بها احتياجاتنا من الطعام والشراب والملبس والأدوات التي نبدأ بها العام الدراسي الجديد وفي يوما من الأيام دخلت البيت فوجت الحزن يخيم على الجميع أخذت أنظر هنا وهناك فوجت عنزتنا تحتضر ماتت وأخذت معها الخير والبركة ..... ورغم ما نحن فيه من ضيق الحال وقلة الحيلة فنحن متفوقون على من يسكنون الأبراج والقصور الكل يطلب ودنا ولا يعلم كيف نقضي يومنا وليلا .....ويجاورنا كوخ فيه زهرة جمالها كجمال النيل وصوتها كنسمة من نسمات الربيع نلتقي في الذهاب وفي الإياب ولكن بطرف عين ..... كنت اذهب في أجازة الصيف للعمل مع والدي فكنت اعمل حارسا للبيه الصغير مرت الأيام ومضت السنون وتفوقت وحصلت على الشهادة الثانوية ودخلت كلية الحقوق وحصلت على أعلى التقديرات وعينت معيدا ثم حصلت على درجة

الدكتوراه في القانون كل ذلك فالأيام تسير لاتتوقف فقد انتقلنا من بيتنا في القرية إلى المدينة بعد أن فقد والدي قوته التي يعمل بها وهناك وجدا عملا يسيرا .. بواب في احد الأبراج .... سكنا ... سطوح ا لبرج وبعد سنوات انتقالا من القرية .... توفي البيه الكبير وترك البيه الصغير المستهتر فاخذ يبيع في كل شيء فهو لم يكمل دراسته بل توقف عند المرحلة الثانوية أخذ البيه الصغير يبيع في الأراضي التي أخذها والده بالقوة والسلب والنهب أشترى والد محمود من أرض البيه كما أشترى جميع أهالي القرية وعادت الأرض إلى من يستحق وأصبح البيه لايملك قوة يومه ووصل به الحال إلى أنه أخذ في البحث عن عمل وما لم يتوقع أنه تم تعينه في كلية الحقوق كاتبا يعمل مع الدكتور سعد محمود ابن المزارع الأجير كانت حياتنا أشبه بأحلام اليقظة أما فاطمة فهي الأخرى تخرجت من كلية الآداب فكان سعد دائم الذهاب إلى القرية يعرف أخبارها وأخبار زهرة النيل ذات النسيم العليل توفي والدي وهو لم يحقق ما كان يحلم به من أحلام .....عمل سعد كل مايستطيع حتى يحقق أحلام والده وتخرج الجميع من الجامعة ورغم كثرة السنين وطول الأيام ففاطمة تنتظر قدوم سعد ليتم الحلم وتصدق الرؤية وتنبت وردة على ضفاف النيل وتزدهر الحياة كما كانت وتحقق الحلم وتزوج سعد من فاطمة وعادت الحياة كما كانت وعاد الكادحون إلى أرضهم وعاد الكنز المفقود .

صورة في المهد

****

صورتنا التقطها فنان بعد الميلاد بأيام كانت خلفيتها بيضاء وبها بعض الأشرطة الحمراء وأنت تنظر إليها من أي اتجاه كأنك تقف في مواجهة البرواز . لقد رسمها الفنان بعدسات الزوم التي تظهر كل جزاء منها وكأنه لوحة لحالها فالعينان بيضاويتان يختلط فيهما السواد بالبياض وأنت تنظر إليها يخبل إليك . أنها تتحرك كالرسوم الكرتونية . بروازها من ماء الذهب ولكنها ارقى وأجمل من كل الالوان كل لحظة تمر عليها تكبر في خيال الفنان تتدلى من شعرها خصلة من شعر الميلاد ولكنها ثابتة لايحركها ولا يسقطها ولا تمحوها رياح الأيام وهي صورة تخلو من كل عيوب التصوير ومن كل ضعف الألوان فالله المصور وهي من صنع المتقن رب الأرباب .صورتنا التقطها الفنان في اليوم الخامس من الميلاد كانت الأم بديعة والأب عبد الغفار بائع متجول على عربة يجرها حمار صورته كصورة عبد الغفار وهما يشتركان في كثير من الأشياء بحكم العشرة فالأطراف طويلة تنتهي برأس صغير الحجم وشعر منتصب كأنه نبتة بدأت الإنبات كانت هذه الصورة لبطلة قصتنا الحاضرة الغائبة التي التقط صورتها فنان لايعلم ما يحدث لملاك ولدت وقت الإهمال فأبواها انتظراها خمسة عشرة عاما من الزواج حتى الميلاد والأم مريضة والأب ليجد قوت يومه مرت شهور الحمل على الزوجين طويلة لكن سنوات الحرمان كانت اكثر مرت تسعة اشهر وجاء موعد الميلاد اخذ الزوج زوجته على عربته إلى

المستشفى وفي عرفة العمليات كل شيء جاهز ومعد لاستقبال المولودة الجديدة وبعد ساعتين خرجت الدادة وهي تبشر بالمولودة وهي تحمل على يدها علياء فقد سماها ابوها منذ بداية الحمل خرجت

الام بعد من غرفة العمليات مخدرتا لا تعلم شيئا حتى فاقت من الاغماء وجاءت الدادة فوقية حواجبها مرفوعة وأسنان بارزة دخلت على بديعة وقالت هيا كي نجرى بعض الفحوصات في الرحم حتى يزول الألم ويتم شفاؤك خرجت بديعة وعيناها ترنو إلى ابنتها علياء وهي لا تعلم أنها لن تراها بعد اليوم . دخلت سارة بنت الحارس وهي تحمل بين يديها غسيل الأطفال وخرجت وهي تنظر يمينا ويسارا والتقطت علياء .وخرجت والكل يحيها وكان في الخارج تاجر من تجار الأطفال أخذ اللفت وبداخلها علياء وفي لحظات غاب ولم يعرف أحدا أين ذهبت علياء جاءت الأم بعد الفحص وقلبها ينفطر دخلت وهي تنظر إلى عليا ء سقطت الأم على الأرض ولم يعرف أحدا لماذا سقطت ؟ فاقت الأم من غيبوبتها وهي تصرخ علياء علياء علياء..أخذت تجري بين الطرقات وتفتح أبواب الغرف وهي تصرخ ضاعت علياء ضاعت علياء ضاعت علياء .

جاء عبد الغفار من يومه وهو متعب ويمسك بلجام حماره ويسيران جنبا إلى جنب و قف عبد الغفار ينظر زحام أمام باب المستشفى يقترب أكثر وأكثر عسكر شرطة سيارات ماذا يحدث ؟ أقترب أكثر فأكثر يسأ ل ما هذا ؟ يرد الحارس ضاعت علياء صرخ أبوها وهو يجرى يمينا ويسارا والدمع يسيل من عينيه ويمسك بترب الأرض ويضعه على رأسه وعلى عربته وفوق حماره فهما يشتركان في كل الأحزان وأمضت الشرطة أياما تبحث عن الجاني فلم تعرف ولم تعثر عليه أين ذهبت علياء؟ أين ذهبت علياء ؟.رأت بديعة وعبد الغفار أن حياتهم قد انتهت بضياع علياء فقد أنتظرها خمسة عشر عاما من الزواج حتى الميلاد .

ومن حسن الحظ أن مصورا أخذ صورة لها كي يضعها على سريرها الصغير وكتب عليها اسمها واسم أبويها .

أخذ عبد الغفار صورة علياء ونسخ منها عدة نسخ وعلق النسخ على الجدران وهو يصرخ علياء علياء .

حزنت بديعة وعبد الغفار أياما وليالي وشهورا وسنين ولم يعرفا طعم الفرح فقد ضاعت عليا كان عبد الغفار يستيقظ صباحا لصلاة الفجر وينظر على الصورة وتسقط من عينيه دمعة تكاد تشق الأرض وتحفر حفرة كالبركان ويذهب ويصلى الفجر ويدعو الله أن ترجع عليا .ومع شروق الشمس تستيقظ بديعة ومع الصباح ينقلب الضوء إلى سواد في عين بديعة وتنهمر الدموع من عينيها و تصرخ علياء علياء علياءو عزائها أنها تنظر في صورتها وتدعو الخالق أن تعود . يمر العام تلو العام وتكبر الصورة من خيال الفنان في الشكل وفي الحجم وتعود وتعلق على الجدران وأبويها يحلمان متى تزول الصورة وتعود عليا .

تاجر الأطفال يسمونه السفاح كان قبل ستة عشر عام قد تزوج ولم ينجب وكانت زوجته هي نفسها بنت الحارس الذي يحرس المستشفى والذي كان له الدور الأكبر في اختفاء علياء . سارة لم تتاجر ولم تبيع علياء واحتفظت بها لنفسها وتم استخراج شهادة ميلاد لها باسم نور الصباح وتم إلحاقها بالمدرسة وتفوقت وحصلت على أعلى الدرجات وكانت من المتفوقات وأنهت نور دراستها وهي في حي السفاحين والتحقت بكلية الطب وحصلت على أعلى الدرجات وتم تعين نور في كلية الطب ورشحت لسفر إلى الخارج للحصول على الدكتوراه في مرض السرطان وقامت بعمل أبحاث على المصابين بالمرض ومدى انتشاره وسط الأحياء الفقيرة. كانت الأيام تسير على عبد الغفار وبديعة كما بدأت ألم وحزن ومرض وكانت أصابت عبد الغفار وحماره بهذا المرض اللعين مات حمار عبد الغفار ولم يعرف أحدا سبب الوفاة وأخذ عبد الغفار يعاني من هذا المرض

اللعين وذهب للكشف في أحد مستشفيات العاصمة وتم تشخيص المرض وتحويله إلى عيادة السرطان وكانت المشرفة على العيادة نور الصباح وهي سبب مرضه وألمه مدى الحياة من بدايتها إلى نهايتها من مرض وفقر وحياة بلا أمل بعد ا لضياع فكانت هي الأمل والحياة لهما وتعلق قلب عبد الغفار بالدكتورة وكان لاينام حتى يراها ويسمع صوتها وهي كذلك وكانت هي الأمل في علاج أبوها المجهول وأمها المريضة في الفراش كانت الأيام تمر عليهم وكأنها سنوات طويلة ذهبت نور إلى بيت عبد الغفار الذي لاتعرفه وأمها التي تجهلها ولفت نظرها الصورة المعلقة على كل الجدران من طفولتها إلى شبابها . وأخذت تسأل أين صاحبة الصورة التي تكبر وتتغير بريشة فنان .تعلق قلب الأب بالدكتورة وكان لا ينام حتى يريها ويسمع صوتها وهي كذلك وكانت هي الأمل في علاج الأبوين البائسين كان اليوم يمر عليهم وكأنه سنوات طويلة ذهبت نور إلى بيت أبيها الذي لاتعرفه وأمها التي تجهلها والصورة المعلقة على الجدران وأين صاحبتها ومتى تعود كانت نور تعرف أن أباها اللص الذي يطلق عليه السفاح قد أتي بها من إحدى المستشفيات أصبحت نور معلقة بالأبوين التعيسين وحياتهما التي مرت كالكابوس . أخذت نور تسأل عن حياتها وحياة الأبوين ومتى خطفت ؟ و أين خطفت ؟وكانت كل كلمة من هذه الكلمات يرافقها سيلا من الدموع والأحزان والنحيب ولا يستطيع أحدهما أن يكمل الرواية ثم يخلدا إلى النوم ويبدأ اليوم التالي كما بدأ الأول حزن وألم وتعاسته وذكرى أبنتهما الضائعة وحياتهما التي انتهت وفصول المعاناة وحماره رفيق حياته الذي مات بالمرض اللعين وزوجته المريضة التي لايجد من يعولها بعد مرضه .

أخذت نور تقلب في جميع الأوراق وتسأل كل من لديه صلة بالموضوع وجاء ت برقم القضية من عبد الغفار الذي حفر بذاكرته و لم تستطع أن تمحوه الأيام وذهبت إلى قسم الشرطة والتقت بالضابط المسئول وألمت بكل خيوط القضية والخيط المفقود وعرفت أن عبد الغفار وبديعة هما أبويها الحقيقيون وان السفاح هو من حرمها من أبويها وأن الصورة المعلقة هي صورتها . أخذت نور تسبق الوقت والزمن وتجرى حتى تصل إلى المستشفى لكي تلتقي بابوها قبل أن يفارق الحياة . ساءت حالت عبد الغفار ولم يتحمل ألم المرض وتم إدخاله إلى غرفت العناية المركزة و توقف نبض القلب وضعفت عضلات الرئتين ولم تستطع الانقباض والانبساط وأنخفض الضغط مات مات مات عبد الغفار وصلت نور إلى المستشفى ولكن بعد فوات الأوان مات عبد الغفار صرخت نور صراحة مدوية وسقطت على الأرض وهي فاقدة الوعي أفاقت نور وهي تنظر على وجوه المحيطين وتصرخ وتفقد الوعي مرة أخرى ويتكرر هذا الموقف عدة مرات ولكن فجاءه تقفز وتجرى إلى بيت أبيها حتى تصل إلى أمها لكي ترتمي في أحضانها وتروي عطشها وتعيش في كنفها وبين جدران البيت الذي حرمت منه وتأخذ محل الصورة المعلقة وتحيا هي وأمها المريضة وتقدم لها كل ما تستطيع من رعاية وحنان ولكنها لم تصل إليها ولم تراها فقد علمت بديعة بوفاة زوجها ورفيق حياتها وكل ما لها في الحياة فودعت الحياة بعد رفيقها بلحظات ماتت بديعة ولم تعرف أين أبنتها ولم تضعها في أحضانها وبين ذراعيها ماتت بديعة قبل أن تصل نور إلى البيت صرخة نور صرختا مدوية وصلت إلى أعنان السماء واستمرت الصرخة أياما ولم تهدأ حتى همست في أذنيها صديقتها أماني . أن الله يغفر الذنوب وأنه يكفى المحرومين في الدنيا بجنات النعيم

والفردوس الأعلى و أنه إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أوعلم ينتفع به أوولد صالح يدعو له فكانت علياء هي الابنة الصالحة التي تدعو لوالديها وعاشت في بيتها وبيت أبيها عبد الغفار وتزوجت وأنجبت عبد الغفار الصغير وبديعة ولم تنسى والديها وظلت تحكي لولديها قصة الجد والجدة وكيف لعبة بهما الأيام وكيف كانت النهاية وكبر الصغيرين وكانت الرعاية والعناية والحب من الأم والأب ومازالت صورة بديعة وعبد الغفار معلقة على الجدر .

الحلم الضائع

****

لقد صنع ضيق الحياة,وقلة الحيلة, جيلا,يحاول الكسب بكل الحيل و بكل الوسائل,ضعيف الشخصية,لا يستطيع تحمل المسئولية . كنا مجموعة من الشباب جمعت بيننا القرابة وبعض الميول رغم بعد المسافة بين الجزيرة وقريتنا قضينا أياما سويا في الصبا والشباب أياما أشبه بأحلام اليقظة التي نستيقظ منها عند أي حركة،كسحابة الصيف التي لا تتوقف ولا تمطر وأحيانا يستظل بها الناس من شدة الحر الأيام تمر وكأنها تحمل الماضي في كل كلمة ولحظة ولقاء. جابر حياته ليله كنهاره بين المرح والسرور والتنقل بين الأقارب والجيران يتخيل علاقات مع كل من يقابل من بنات الحي والجيران والأقارب وأن لم تحدث أنهم يحبونه ويتقربون إليه ويرغبون فيه ويمر يومه بالسرور رغم الألم والحزن الذي يؤرقه ليلا . طفولته كابوس يحاول أن يخفيه عن نفسه وعن الناس ولكن ألم الحرمان يسير معه في كل حركة ومكان و جعلت منه بهلوانيا فكل كلمة وموقف يجعل منها طرفة ومزحة كيوم مولده كان الشعور متناقضا في عقل وقلب عصفور وأمينه فهم سعيدان بمولده حزينان لأنهم لا يملكون قوت يومهم وهم قلة فكيف يملكون قوتهم والآن أصبح معهم وافد جديد ,فالطعام والشراب لا يكفي ثلاثة فكيف يكفيه معهم ؟ كانت أيام رضاعته مملوءة بالخير والبركة فقد ولدت بقرتهم التي يتشارك معهم فيه زوج خالتهم .وكان لجابر نصيب الأسد في لبنها وحمدت الأم ربها أن عوض طفلها من قلة لبنها بلبن بقرتهم كانت أول حركة لطفلهم أسعد الأيام ولكنها كانت بداية الشقاء لغلام لايعرف ما يحيط به من حياة البؤس وضيق الحيلة والدي يعمل صياد يخرج في ظلام الليل يحمل شبكته ومشعلة ونحن معه زينب تكبرني بعض

السنوات وأمي تتحمل معه ضيق الحياة نخرج معا في الظلام الحالك كانت أمي تمسك المجداف وأبي يرمي بالشباك وأنا وأختي نتبادل حمل المشعل أبي خبير بمواقع الأسماك مرت أيامي وسنواتي الأولى حتى عامي السادس على هذا المنوال نستيقظ مع أول طلعة للفجر ثم نعود بما رزقنا الله من الأسماك في اول طلعت للشمس وأذهب أنا وأمي لنبيع الاسماك لنشترى به بعض احتياجاتنا ثم نعود الى جزيرتنا ويتسلل الليل إلى أكواخ جزيرتنا فيخيم عليها ظلام لا ترى غير ضوء نجم يظهر من بين أغصان الأشجار او يظهر عليك القمر بنوره الصافي في اماكن اخرى يعطي الأمل في حياة أفضل وأمل منشود أختي أكملت عامها السادس منذ سنوات ولكنها حرمت من التعليم لضيق الحال وصعوبة الوصول إلى المدرسة فهي في الجانب الآخر من النهر أكملت عامي السادس وكانت الفرحة عارمة فانا الأمل المنشود أبي يتمنى تعليمي وأمي تحلم أن التحق بالمدرسة وأختي ترى في تعليمي الأمل الذي ينقذ حياتنا من جزيرة الهلاك كما تسميها هي. أبي يحلم وأمي تتمنى وأختي ترى أنني الأمل المفقود ولكن كيف السبيل؟ فأبي لا يملك ولا يستطيع أن يجمع ولو حتى جزء من المصروفات كلنا نحلم ولكن من أين ؟أبي وأمي يفكران أختي تفكر مضت أياما وأسابيع السكون يخيم على الجميع تذهب أمي كل يوم إلى قريب وتعود واليأس يملأ وجهها ولم يبق غير الكاشف فكلما ضاق الحال بنا كان هو صاحب الفرج وهو المخرج والمنقذ من كل ضيق ذهبت أمي واستمرت هناك يومان لكي تستريح من التعب والعناء وتأكل من كل شيء من الطعام وتذهب بها خالتي إلى أحد الاطباء لكي تعالج لها بعض الأمراض ثم عادت و البشر على وجهها سعد الجميع وتهلل وجه أبي وصاحت أختي جابر عادت أمي الكل سعيد رغم أنها لم تنطق بكلمة ولكن السحابة السوداء التي

كانت تغطي كوخنا لم تعد موجودة وغرد الغراب رغم صوته القبيح وتراقصت أغصان شجرة الصفصاف حتى الحشرات التي تسكن معنا خرجت من جحورها صفوف تحتفل بالفرحة الوليدة أخذني أبي وذهب بي إلى مكان لم أري له مثيل الشوارع واسعة ,المباني مرتفعة ,السيارات في كل مكان , هل نحن في بلاد غير بلادنا ؟ كانت أول مرة أخرج فيها من جزيرتنا المهجورة ,وأرى عالم أشبة بالخيال ,لم أرى له مثيلا دخلنا مكان لم أعرفه ولكن علمت بعد ذلك بسنوات أنه مكان للتصوير أشترى لي أبي حذاء وكانت أول مرة ارتدى فيه حذاء كانت أمي وأختي يساعدونني في لبسه لم أستطع السير به لأيام كنت غير مقيد في دفاتر المواليد ولم يكن لي شهادة للميلاد كما يقال عنها أخذني أبي إلى طبيب الوحدة الصحية فقام بوضع سن لي مرت الأيام وأكملت الأوراق وبعد عدة أيام كان اليوم الأول من بداية الدراسة أشبه بالحلم الذي تسير لقطاته أمام عيني كالخيال فاليوم استيقظت مبكرا ولكن ليس للصيد بل للذهاب إلى المدرسة أصبحت من الآن تلميذا في الصف الأول مرت الأيام كما هي ثقيلة. مرض والدي لكثرة نزوله الماء وقلة الطعام وقلة ملابسه في الشتاء وفي الصيف وفي نفس الوقت اشتد عودي وأصبحت قادرا على التجديف فتبدلت الادوار بيني وبين ابي من حمل المشعل إلى رمي الشباك وتبدل دور زينب اصبحت تمسك المجداف وأمي تحمل المشعل ووالدي خلفنا لبعث الطمأنينة في نفوسنا ويرشدنا إلى مكان تجمع الأسماك وتبدأ الرحلة بين حشائش النهر وسيقان الغابات وما تحمل بداخلها من مخاطر فأحيانا تلمح عينك حيوانا من حيوانات النهر المفترسة . وتستمر رحلت الصيد إلى قرب ظهور شعاع مولد الشمس و نعود جميعا إلى البيت فتحمل أمي وأختي السمك ويذهبان به إلى السوق لبيعه وأبدأ رحلة من المعاناة وهي رحلة الوصول إلى

المدرسة فهي رحلة شاقة ولكنها تنتهي بأجمل الأوقات وأحلى اللحظات فمدرستي على الضفة الأخرى من النهر اخرج وبعض أطفال الجيران نقف على شاطئ النهر أملا في قارب صيدا أو مركبا لعبور النهر إلى مدرستنا كان اليوم الأول أروع يوما في حياتي فالهواء والشمس والمكان والأشخاص الكل مختلف , مرت الأيام وتنقضي السنون على نفس ما بدأت به وانتهيت من المرحلة الابتدائية وبدأت حياتي تأخذ شكلا آخر وطريق لم اصنعه لنفسي بل القدر جعل مني مستغلا لكل فرصة وأجعل كل شيئا لمصلحتي وحياتي فطفولتي هي محرك حياتي ودافعي فأبي وأمي وأختي يأملون في أن أغير حياتهم.

والدي يعمل في مرفق القطارات ظروف عمله جعلتنا نتنقل من مكان إلى أخر و من بلدا إلى أخرى تعلمنا الكثير واتقنا الكثير من الحرف والمهارات استقر بنا الحال في مدينتنا التي كنا قد بدأنا فيها حياتنا . بعد رحلة طويلة من التنقل والمعاناة بعد أن أحيل والدي إلى التقاعد لم نكن نملك حتى القليل من المال كي تسير بها حياتنا و نكمل تعليمنا وتستمر به الحياة . فكانت هذه البداية و النهاية لحياة أبي فالأيام هي التي ترسمها و تصنع خيوطها فكانت حياتنا أشبه بالترحال مكثنا في الجنوب عدة سنوات و ذهبنا الى الشمال ثم الى الدلتا تعلم أخي الأكبر بعض أعمال الفلك و السحر والروحانيات فأصبح من أشهر الفلكين , ذاع سيطه وكسب من المال الكثير وأصبحت له معارف من كل الطبقات وأصبح محمود معلما احب فتاة من محافظة اخرى وتزوج بها انجب طفلا جميلا ولكن ارادة الله كانت اسبق وتوفي وهو في غرة الشباب , طارق مغنينا كان يعمل في فرقة موسيقية يحمل صوتا جميل يشبه صوت ابناء الجنوب تعددت مرات زواجه فكان كل همه الزواج من صاحبة المال بعد فترة

تغير نشاطه وأصبح يمارس نشاط اخيه الاكبر. ايمان تملك كل صفات الامومة كانت هي الراعية لنا في كل الاوقات تحمل همنا وتقوم مقام الام وتحمل قلبا عطوفا وروحا صافية تحملت همنا بعد ان توفيت أمنا وتزوج والدي من أخرى تصغره بعدة سنوات انجبت لنا مجموعة من الاخوة .كانت شقتنا في بلدتنا في الطابق السفلي ترسم الرطوبة على جدرانها مناظر البؤس وذل الحياة فحياتنا تمر ككسوف الشمس وخسوف القمر تعلمنا الصلابة والتحمل وجعلت منا هذه الظروف رجالا أشداء نبحث عن المال في كل مكان و تحت كل الظروف فبدأت اشق طريقي بين الدراسة والعمل.....

الكاشف هو لقب عائلتي وهي تمتلك من الأراضي ما يجعلها من أغنى العائلات ومن الرجال من يجعلها من أصحاب الجاه والسلطان و السمعة الطيبة ومن الأخلاق والدين وعمل الخير كل هذا يجعلها من أفضل عائلات فالكل يتشرف بنسبها ولدت وأنا أحمل كل هذه الصفات فأقاربي يعلمون كل هذا رغم ذلك لم تخلوا حياتنا من الصراع على الأرض والمال كانت حياتي وأخوتي بين الأرض والمسجد والمدرسة ففي الصباح نذهب الى المدرسة وبعد عودتنا من المدرسة نذهب الى حراسة الابقار والجاموس التي نربيها ونخرج بها في الصباح ونعود بها في المساء الى الحظائر التي اعدت لها وعندما كبرنا بعض الشيء كنا نعمل في الحقول مع الرجال في جمع المحاصيل وزراعة الارض ولم نكن نعرف غير ذلك ولكن الأقدار هي التي جمعت بيني وبين أقاربي جابر واشرف التقينا في حفل زفاف أحد الأقارب كان اللقاء لايحمل أي معاني للحب والود و لم أكن أعرف كل المحيطين من الأقارب والجيران .....

رباب بنت الخالة الكبرى والدها من رجال الشرطة الشرفاء لم تمتد يده إلى حراما قط تعيش في بيت بالإيجار من غرفتين كان والدها

رغم طيبته يتعامل معهم كأنة في معسكر الجنود كانت تحلم بحياة أفضل تحلم دائما بقصص الغرام والحب كانت تخشى الناس ولا تقترب منهم وكانت تحاول أن لا يعرف أحدا سر حياتها فكانت علاقتها بين الأقارب والجيران الذين يزورنها . وبذلك لا يشك أحدا في علاقاتهم بها كان لها أربعة من الإخوة الكل يسير بحياته كما يشاء توفى والدها وهي في سن المراهقة لم تجد من تتحدث معه وتحكي له عن كل ما يدور في خاطرها من هموم وأحلام ولم تجد غير الأقارب حتى يكونوا سترا لها وكانت مغامراتها الأولي مع جابر و عبده الكاشف .

أماني جميلة الجميلات من عائلة متوسطة الحال أبوها موظف في هيئة النقل العام راتبه ينتهي في منتصف الشهر والدتها ربة بيت أخواتها جميعا من البنات كانت في حفل الزفاف الذي يجمع الجميع كل العيون تنظر إليها . لم أكن أعرفها ولكنها تعرفني اشرف وجابر يعرفونها كانت تسكن في درب البحر وهو شارع يبدأ وينتهي على النيل ويرسم معه نصف دائرة كنت أعلم أن الحفل يجمع كل الأقارب ويجمع معهم الجيران لجدتي لامي وكانت هي المرة الأولى التي ألتقي بهم فلابد أن يكون مظهري يدل على حياتي التي يعرفها الجميع كل العيون تنظر إليها عيونها أشبه بعيون المها صدرها ممتلئ نهديها يظهران من فستانها المفتوح على الصدر خصرها ملفوفة القوام سيقانها كسيقان الغزلان لا يظهر فيهما إلا جمال القوام وكأنهن غصن شعرها يتدلى كأمواج البحر طوله ملفت للنظر سواده كظلام الليل تتعالى على الجميع بجمالها الكل يطلب ودها وينتظر لمحة من عينيها التي يخطلت فيهما السواد بالبيض ابتسامتها كابتسامة القمر وجهها أملس ناعم جميلة الجميلات بدأت أنظر إليها كنت أقف بمفردي .لم أتحدث مع أحد .الكل ينظر إليها

وينتظر حديثها اقتربت مني أكثر وأكثر نحن هنا لم يدر بخاطري أنها تتحدث معي ,بالله يا سيدي ولا احد هنا يعبرانا و لايسئل فينا كانت عيونها السوداء وحواجبها التي تشبه الهلال في بداية الشهر تطفي عليها جمالا لم أره من قبل كنت أشجع نفسي على الحديث معها والرد عليها ولكن لم تكن شجاعتي كافيه و لم أكن اعرف هذا الأسلوب من الحديث ولم اختلط إلا مع بنات أعمامي بدا الكل ينظر إليها كل شباب العائلة يحاولون الفوز بها انتهى حفل الزفاف وعاد كل واحد الى بيته والكل يرسم صورة لها وكيف يصل اليها ويفوز بها . بدأت أول زياراتي بعد حفل الزفاف بفترة طويلة وبعد نهاية العام الدراسي وبعد ان جمعنا محصول الارض وأصبح عندي متسع من الوقت . كانت والدتها تقوم بكل شيء من أجل الفوز بعريس لكن ليس أي عريس فهي تطمع بعريس من الاغنياء لكي يتبدل حالهم وتنتهي ايام البؤس والعناء والفقر و كانت تتمنى أن أكون العريس المنتظر ولكنها تعرف عاداتنا فكل

شباب العائلة يتزوجون من بنات الأعمام حتى لا تذهب الأرض إلى احد غيرهم جلست بجانبي جسدها يلامس جسدي كل أعضائي تهتز لا أستطيع تحمل سخونة حسمها عرقي يسيل وجهي يحمر ..... أصابعي تهتز ... أعصابي لا أتحكم فيها لم أمتلك نفسي .....امسكت بيدي بشدة تعالى اقرأ لك الكف كل هذا يحدث وأنا في حلم أتمنى أن لا ينتهي ولا أستيقظ منه أنظر في عينيها الساحرة لساني لايستطيع النطق أنفاسها كنسمة الربيع لأستطيع التحمل أحدث نفسي فجأة تنطق لماذا لا تأتي يعم أحنا أقارب بدأت زياراتي تتكرر وحديثي يتغير وبدأت أتعود على ملامسة جسدها كنت أرتمي بين أحضانها كأنني في بحر لا تنتهي أمواجه شفتيها يسيل منها رحيق كرحيق الورد تنتهي زيارتي وقبل أن تنتهي نتواعد على

الأخرى أصبحت لا أستطيع البعد عنها ليس حبا بل عشقا لجسدها كانت تحلم أن أكون زوجا لها ولم يكن ذلك في حسباني تكررت زياراتي وتكرر جلوسنا المنفرد . كان اشرف وجابر كلاهما ينتهز فرصة عدم وجود الآخر كل ما يحدث معي يحدث معهما أستمر الحال على ذلك عدة سنوات أصبحت رباب تنتظر قدومي وهي في نفسها تعقد المقارنات بيني وبين الآخرين .استمرت الأيام علي هذا الحال كلا منا يعلم إن ما يحدث معه يحدث مع الآخرين ... كان جابر ينتهز فرصة لتناول وجبة الغداء والعشاء فكل يوم يذهب إلى أحد الأقارب أو الجيران فيظهر العشق هنا والحب هناك فكانت حياته بهذا المنوال لا يحب ولا يكره بل المهم وجبة الغداء والعشاء ويقضي بقية اليوم بعيدا عن كوخهم في جزيرة البحر .

سحر شديدة الجمال شديدة الذكاء كانت رغبتها في الحب أعلى ما تكون كان منزلهم من غرفة واحدة للنوم لم يكن هناك مكان بعيد عن الأنظار كان لابد من ترك هذا البيت والبحث عن بيت أخر بعيد ا لا يعرفهم فيه أحد ولا يعرفون أحد كان بيتهم الجديد يطل على واحة من النخيل كان الجميع يجلسون في غرفة الشرفة وكانت تجلسني في غرفة مجاورة تجلسني من غير إرادتي ورغم حرجي الشديد تبدأ في قراءة بعض قصص العشق والغرام ثم يتطور الوضع إلى قصص تنتهي إلى العشق واثنا القراءة يتطور الأمر فقد تمتد يدها إلى ظهري أو رقبتي حتى ينتهي الأمر إلى بعض القبلات الحارة نقوم حتى لا يلتفت إلينا الحاضرون ثم نذهب ونشاركهم الحديث أقوم فقد تأخر الوقت فلم يتعود أبي على تأخيري .

تتكرر زيارتنا وقد انتهت في وقتنا الحالي دراستنا الثانوية وأنشغل بعضنا بدراسته الجديدة اشرف يكبرنا بعدة أعوام رغم ذلك فهو لا يستعجل التخرج فهو يعمل أثناء دراسته والدراسة توفر عليه

عدم الالتحاق بالخدمة العسكرية وكل ذلك يجعله يتقدم خطوات نحو الارتباط بمحبوبته رباب التي يخطط للزواج منها وهو يعلم كل علاقاتها مع الآخرين كيف يصل اشرف إلى قلب وعقل رباب وهناك منافسين أقوياء فلابد من عمل ما . كان كل ما يدور على مسمع من أم رباب كانت الساعات تطول والخلوة تشتد حرارة فهو يريد أن يصل إلى شيئا ما .أنفرد اشرف برباب لم يكن هناك أحدا في البيت أقترب اشرف من رباب الهمس يدور القبلات تتواصل غاب اشرف وغابت رباب حدث ما كان متوقعا حدث ما يخطط له اشرف حتى يضمن رباب ويضمن الفوز بها انقطعت أخبار اشرف فقد ضمن الفوز بها حتى إن لم ترغب فيه . بعد التخرج تقدم أشرف لخطبة رباب فلم يقف أحد امامه وتمت الخطبة وبعدها بعدة شهور تم الزواج وأنجب ثلاث من البنات وولد واحد ومازال اشرف ورباب تمضي بهم الايام ولم تنتهي حكايتهم .

سافر عبده الكاشف إلى دولة أوربية وتزوج عدة مرات ولم ينجب وتزوج من زوجة اخري وأنجب ولد وبنت ومازال في بلاد الغرب ويأتي كل عدة اعوام لزيارة الاهل والأقارب .

استمرت حياة جابر بطريقتها وشكلها في الصباح الصيد ثم الذهاب إلى الجامعة ثم التنقل بين رباب وأماني ثم العودة إلى جزيرتهم المهجورة التي تخلو من كل شيء إلا الظلام و الفقر والجوع والجهل مرت الأيام وسنوات الدراسة الجامعية بما فيها من جمال وكل ما تحمل إلى العام النهائي من الدراسة الجامعية قرب وقت الاختبارات تفوقنا وقد جاء وقت ظهور النتيجة نجح عبده الكاشف وتفوق وخرج اشرف بمواد ، تفوق جابر فرح عم عصفور بنجاحه فرحة لم يكن لها مثيل فقد تحقق حلم الأيام نجح جابر بتفوق فهو الثاني على كلية الحقوق فرحة زينب بعد طول انتظار أمي ترفع

الصوت بالزغاريد تسقط دموعها فقدت النطق عدت أيام من فرحتها فرح الجيران فرح الاصدقاء بنجاحه وتفوقه مكث جابر في البيت عدة أيام بسبب الصداع الذي اصابه من يوم ظهور النتيجة الصداع يمزق رأس جابر نعم امي ماذا بك ولدي لا اعلم امي ماذا حدث امي لا استطيع النوم ولا استطيع الحركة و لا استطيع ان ارفع راسي ولا استطيع الصلاة عيني تؤلمني نذهب الى الطبيب نعم ابي لا استطيع ان اتحمل ، الألم يشتد النوم يزول وفي ليلة بعد العشاء تجمع الاهل والجيران والأقارب اشرف كيف حالك الحمد لله اليوم افضل بكثير خف الصداع وخف الالم الحمد لله فقد اديت صلاة العشاء بسهولة ويسر اشرف غدا ان شاء الله نذهب معا لزيارة الخالة ان شاء الله ، ذهب الجميع بعد قضاء وقت طويل مع جابر وتركه الجميع وراح كل منهم الى بيته امي اريد كوبا من الماء حاضر جابر اين ابي خرج للصيد فاليوم القمر بدر وهو موسم الاسماك التي تأتي من الجنوب متى سيعود ابي ؟ عندما سيعود سوف اخبره انك تريده نعم امي اريد ابي لن انام قبل ان يأتي ابي استريح الان فأنت مرهق من كثرة الضيوف اليوم نعم امي بعد ساعة ونصف وصل عصفور البيت وهو يحمل معه كل ما رزق من الاسماك جابر يريدك عصفور هل حدث له مكروه لا لا انه بخير امينه هل اصاب جابر مكروه لا ابدا انه في احسن حال الحمد لله هو يريدك انا ذاهب اليه جابر نعم ابي تفضل قالت امك انك تريدني نعم ابي فقد احببت ان ارك واطمئن عليك قبل ان انام سوف انام معك جابر لا ابي انا بخير احببت ان ارك امي ممكن ان تضعي يدك على راسي لحظات اين زينب انها تجمع شباك الصيد وتخيط ما مزقه السمك منها اريد ان اري زينب نعم جابر زينب اين كنتي كنت في المركب اخيط الشباك التى مزقها السمك حتى يخرج ابي غدا فتكون سليمة زينب ارجوكي لا تتركي

امك وابيك مهما حدث تزوجي بجانبهما لا تنسي جابر اذا رزقك الله بولد سميه جابر اطال الله في عمرك اخي اريد ماء للوضوء زينب حاضر اخي صلى ثم نام وبجانه قصة معانة اب وأم وأخت ينتظرون نجاحه وتخرجه نام جابر ولم يستيقظ مرة اخرى مات جابر ولم يعرف أحدا ما السبب مات جابر .و خيم الحزن على الجميع لا أحد يصدق ما حدث تعال الصراخ الام تنادي جابر أتركوني أراه لأخر مره أيمن يصمت الكاشف يبكي عم عصفور يصرخ أصابه شلال لعدة أعوام إن لله وإن إليه راجعون . بعد سنوات من وفاة جابر عاش الجميع في الحياة والماضي يسكن قلوبهم وما زالت الحياة تمضي وتسير الأيام تنقضي ولم تصل الحكاية إلى النهاية وهناك البقية .

الراقصة والتاجر

****

حينا من أجمل الأحياء تكسوه الخضرة والأشجار والزهور من كل ناحية لا توجد فيه مباني شاهقة . المبني علي طراز واحد الشوارع واسعة. الأشجار على الجانبين بأنواعها المختلفة الاستوائية والمعتدلة والباردة. جميلة الشكل تتدلى منها غصون تنتهي بجذور وأنت تسير تجد بين جذورها مخالب للعشاق .يخيم الهدوء على المكان ليس القاتل بل الجميل الذي يتمناه الإنسان و مع شروق الشمس تخترق أشعتها غصون الأشجار وأوراقها كأنها سلاسل من الذهب والفضة ترسم الاغصان والأوراق على الأرض حبات من اللؤلؤ وعندما تسير تسمع شقشقة العصافير كأنغام المزامير . الجمال والنظافة تحيط بالبنايات من كل مكان الشوارع والميادين تشم لها رائحة مع شروق الشمس تتفتح الزهور وتغمض مع الغروب كأنك تسير في حديقة غناء. بها جداول من المياه العذبة تسبح بها أنواع من البط والأوز مختلفة الأشكال والألوان والأجناس والأشجار تسمع لها صوتا كتغريد الطيور وتتداخل مع بعضها البعض فتخرج صوتا كلحن جميل.سكان الحي يعرفون بعضهم البعض يجمع بينهم الحب والمصالح المشتركة والاحترام بين الجميع. بيتنا يتوسط الحي به حديقة جمع والدي اشجارها من بلاد متعددة أشجارها نادرة. فقد كان والدي سفيرا لبلادنا في بلاد عدة . أمنا لاتعمل فهي متفرغة لتربيتنا وتعليمنا والاهتمام بنا وقضاء حاجاتنا أنا وإخواني الثلاثة عمر مهندس للحاسبات من أمهر من وجد في تخصصه شهرته جعلت منه نجما في كل مكان يذهب إليه . أختنا الوحيدة حنان طبيبة للعلاج الطبيعي قامت باختراع مجموعة من الأجهزة جعلت الناس تتحدث عنها وكانت سببا في علاج كثير من الإمراض لكثير

من الناس الذين لايستطيعون تحمل تكاليف علاج هذه الأمراض فتجمع عليها المرضى من كل مكان وكانت أملا في شفاء عدد كبير من المرضى أخي الثالث مهند يعمل مع والدي في تجارة التحف فقد كانت هواية أبي منذ زمن بعيد عندما كان يعمل في وزارة الخارجية . وجاء وقتها بعد التقاعد من العمل وكان مهند أيضا يعشق هذه الهواية فكان منذ صغره يجمع التحف.واستمرت حياتنا بشكلها الجميل ومع تفوقنا في كل مجال للعمل ذاعت شهرتنا في حينا وباقي الأحياء المجاورة .

كنت الوحيد من إخوتي الذي يعمل بالتجارة منذ شبابي وتعلمت التجارة على يد أكبر التجار واتسعت معارفي وكثرت اسفاري إلى كل البلدان . ربحت الكثير واتسعت تجارتي وأعمالي كانت شهرتي تزداد يوما بعد يوم في كل الأوساط وعلى كافة المستويات وكل الفئات . يسكن بجوارنا عائلة من الوافدين الجدد على الحي كل حياتهم كانت بين السفر والترحال لارتباطهم بالعمل هناك . كان يوما من أجمل الأيام كانت الشمس تظهر على استحياء والقمر يمر كشعاع. حدث ذلك في حفل خطوبة أختي قدم والدي دعوة الى جيراننا لحفل الخطوبة. فنحن ثلاث من البنين وهم ثلاثة من البنات وأخ واحد ونحن أخت واحدة . جمعت الصداقة بين العائلتين فأختي وجدت أخوات لها وشاكر وجد إخواننا له .أصبحت حياتنا مرتبطة في كل شيء` في الخروج والسهرات شاكر جارنا ضابط في الشرطة. كان من أفضلهم في القبض على المخالفين للقانون كثرت معارفي وزادت علاقاتي بين جميع فئات المجتمع من الرجال والنساء والفتيات في الحي فكلما ذهبت إلى مكان تلاحقني الجميلات فمنهن من ترغب في و منهن من ترغب في أموالي كثرت سهراتي ولقاءاتي وبدون إرادتي .أصبحت مدمنا للكحوليات لم تتوقف حياتي إلى هذا الحد بل

أصبحت مدمنا للنساء. فما من جميلة من الجميلات إلا أرغب فيها مهما كانت فبأموالي أشتري ما أشاء فقد تغيرت حياتي بعد أن كانت شهرتي في تجارتي أصبحت الآن في الفجور والفسق والنساء والخمور فلا يمر يوما إلا ومعي فتاة أو جميلة من الجميلات .شاكر من أعز أصدقائي تكررت نصيحته لي أكثر من مرة ولكن لم ألتفت إليها بدون إرادتي ولكنه لم ييأس من نصحي واستمر على علاقته بي رغم حساسية وضعه كضابط شرطة واستمرت حياتي بشكلها ومضمونها لسنوات بين الشرب والسهر والنساء .كنت أتردد على كل حانات الشرب وما من راقصة ولا جميلة إلا كان لي معها نصيب ويصل الأمر إلى أكثر من ذلك .وفي يوم كنت جالسا في أحد الحانات لم يكن ببالي أن هناك من لا تستطيع العين أن تراها لجمالها واللسان أن يصفها والقلب أن يتحمل همسها وقوامها والجوارح أن تتحمل نعومتها رغم جمالها الفائق وإحساسها. فلها عينان كعيون المها تنام وتستيقظ في وقت واحد فمها محاط بشفتين يسيل منهن رحيق لذيذ المذاق إذا ذقته لاتستطيع أن تتخلى عنه قوامها كغصن في بدية الإنبات شعرها يتدلى كسواد الليل ناصعة البياض حديثها كهمس الربيع و نسيمه لها رائحة كالمسك الفواح وأنت أمامها لا تستطيع أن تتحرك ولا تتكلم ولا تغمض عينيك جمالها يخطف الأبصار والقلوب والعقول كانت راقصة ككل الراقصات جاءت من بلاد بعيدة لتقدم بعض العروض وتعود كما جاءت وهي لأتعرف ما سيحدث لي ولها سعيت أن تكون لي وحدي دون الحضور أرسلت إلى طلبها بل ذهبت إليها حاولت بكل شيء مر على وجودها في مدينتنا عدة أيام كان جمالها يورق منامي . كنت الحقها فأصبحت مألوفا لها كانت تسعى للقائي ولم أعرف ولم أعلم بذلك إلا بعد أن جمع الليل وحدتنا والفراش وحشتنا. طلبت لقاءها فلم ترفض ولم تتردد وأخذتها

لقصري فلم تمانع كان اللقاء عاشقين قضينا أياما عديدة كأنها ليلة واحدة كانت أجمل ليالي العمر خرجت رباب من البيت في الصباح الباكر لم يكن ببالي أن هناك من يسترق النظر ويسعى للقضاء علي و على تجارتي .

شعبان الصياد تاجر من تجار المدينة يسعى دائما إلى الربح مهما كان يسعى للقضاء على كان يعلم دائما أني أسعى إليها وبعد ان كانت أخر ليلة كان ينتظرها في خارج البيت وأمسك بها وأخذها إلى منزله وبعد التهديد والوعيد عقد معها صفقة مقابل المال الذي يؤمن لها حياتها وقدم لها كل ما تحتاج لعمل مشروعات لم تتردد أمام إغراء المال وطلب منها أن تذهب إلى المحكمة وتصرخ وتدعي اغتصابها بالقوة.وهذه علامات الضرب على جسدها . كانت سمعتي قد ساءت مما جعل المحكمة تأخذ بكلام الراقصة ورغم علم الجميع أن هذا ليس أسلوبي و لاطريقتي وتم القبض على وحبسي عدة أيام وحكمت المحكمة على بالسجن سبع سنوات مع الشغل فقد حذرني شاكر عدة مرات ولكن لم أسمع ولم أرى وكانت هذه هي النتيجة لم يصل إلى ذهني أن شعبان هو صاحب المصلحة في حبسي والقضاء على وقد أوشى إلى أحد الأعداء أن شاكر هو الذي أوقع بي وهو الذي طلب من الفتاة أن تقول هذا القول ولم اعلم أن شعبان هو الذي فعل هذه الجريمة التي أوقعت بي وأثناء خروجي من المحكمة أقسمت علي أن أجعل من حيات شاكر كابوسا يؤرق منامه في كل وقت و مكان يذهب إليه ويجلس فيه هو وزوجته وأخته ندي. مرت الحياة ومرت السنون كحالها سريعة خرجت وما من شيء يشغل بالي إلا القضاء على شاكر وأسرته وان اجعل اللحظات تمر عليهم كالسنين وسوف أتعقب خطواتهم وحركتهم داخل المدينة وان أكون الكابوس الذي يؤرق حياتهم كانت ندى هي الوحيدة من أخوات

شاكر التي لم تتزوج حاولت خطافها عدة مرات و توالت الأحداث وكثرت الحوادث والعراك . ولا يمر يوم لا أرى فيه ندي و تحدث المشاجرات بيني وبين شاكر ورجاله فقد أصبح شاكر من اكبر رجال الشرطة وبعد طول انتظار وقعت ندى في يدي واستطعت أن اهرب بها إلى مكان لايستطيع أحد الوصول إليه و كنت اقضي فيه الأيام والليالي بعيد اعن جو المدينة ومافيه من التلوث والضوضاء ولم يكن في بالي أن هذا المكان يعرفه الجميع الشرطة و التجار الذين كانوا يقضون بعض الوقت معي في هذا المكان مرت الأيام ونحن في هذا المكان ولم تمتد يدي إلى ندى بأي سوء علم شعبان الذي دبر حادث الراقصة بوجود ندى معي وكان ينوي القضاء على وعلى ندى في وقت واحدا وأخذ سلاحه ووصل إلينا وكان في البيت بعض الشقوق ترى منها من بالخارج أطلق شعبان عدة طلاقات لم تصبني منها إلا واحدة إصابة بسيطة حاولت أن أعترض طريق شعبان بكل الوسائل حتى تستطيع ندى الهروب من هذا الظالم وصرخت في ندى أن تهرب وبسرعة إلى خارج البيت وأن تستمر في الهروب حتى تصل إلى المدينة وهناك ستجد من يحاول أن ينقذها من هذا الغادر. استمرت ندى في الهروب ولكنها لم تستطع أن تواصل الهرب فقد كان شعبان يلاحقها وأثناء الهروب جاءت الشرطة وحاصرت المكان من كل ناحية وأمسك شاكر بندي وبعد الاطمئنان عليها أخذ شاكر يطاردني وصوب سلاحه إلى صرخت ندى لاتقتل مأمون فقد أنقذ حياتي من هذا الرجل اللعين الذي حاول أن يغتصبني وكان مأمون هو المنقذ لي قبض شاكر على شعبان وعرف منه الحقيقة وعرف أن مأمون مظلوم في قضية الراقصة وبعد ذلك عاد مأمون إلى المدينة وأخذ يعيد تجارته ويعيد بناء نفسه كما كانت طلب مأمون من شاكر أن يتزوج أخته فرفض طلبه حتى يعود كما كان

ولكنه طلب ان يعطيه فرصة أخرى حتى يعود كما كان (التاجرا الأمين) وبعد ذلك سوف يفكر في طلبه من الزواج من ندى وفي شهور قليلة عاد مأمون كما كان التاجر الأمين ووافق شاكر على زواج مأمون من ندى وعاش الجميع في أمان وسلام ورزقهم الله بحنان و شاكر الصغير .

الحب القاتل

كانت طفولتي وبداية حياتي من ذلك النوع الذي لاينسى كان والدي ذلك الرجل الفظ القاسي عال الصوت كلما سرت في أنحاء البيت تسمع لصوته صدى ولنبراته الحادة دوي كدوي النحل بيتنا في قرية من قرى الدلتا يتألف من ثلاث غرف وهو من طابق واحد في الناحية اليمنى من البيت تجد غرفتي وأختي وفي المقابل تجد غرفة أبي وأمي يفصل بينهما ساحة كبيرة يتوسطها شجرتين من الصفصاف وفي الناحية الأخرى شجرة من الجميز وفي أقصى الجنوب الغربي تجد غرفة الضيوف. حياتنا أشبه بمعسكر للجنود الحركة بمواعيد والنوم بمواعيد والاستيقاظ بمواعيد وإذا تحركت في البيت فلابد أن تكون حافي القدمين حتى لايسمع أبي وقع الأقدام فينزل عليك وبلا من الشتائم شاءت الأقدار أن يكون والدي من رجال البريد فقد كان يعمل رئيس مكتب البريد الذي في قريتنا يذهب في الصباح ولا يعود إلا في الثالثة عصرا ويعود وهو يحمل في يده دفترا كتب فيه كل الملاحظات التي دونها في يومه على الموظفين ففلان لم يحضر في الوقت المحدد وفلان لم يراع سر المهنة وفلان لم يذهب في الوقت المناسب و فلان وفلان وغير ذلك . كان يقضي ساعات في كتابة التقارير التي يرفعها إلى رئيس حركة البريد حتى يقتص منهم ويشفي غليله

أمي كانت ربة منزل من شدة ضعفها أصابها المرض في سن مبكرة حتى وافتها منيتها كحلم مر كطيف سريع .

تركتني أنا وأختي التي تكبرني بعدة أعوام فكانت لي الأم والأب التي ترعاني في كل أحوالي ومتطلباتي تغير حال والدي بعد وفاة أمي فقد أصبح عالي الصوت أكثر مما كان ويزداد صوته وتزداد عصبيته

ويثور لأقل الأسباب على كل صغيرة وكبيرة ويزيد في التهديد والوعيد لمن يخالفه وكان تهديده ووعيده ينصب في ناحية واحدة وهي التهديد بالزواج فهو لم يقل الكلمة صريحة بل كان يلمح إليها كلما جاء وقتها المناسب كنت ككل الأطفال في سني و في قريتي لم نكن نلبس الأحذية ليس بإرادتنا بل واقع الحياة والبيئة التي كنا نعيش فيها وكيف نلبس الأحذية ونحن فقراء لايملك آباؤنا قوت يومنا كانت تلسعنا برودة الأرض في الشتاء وتحرق أقدامنا في الصيف فلم يكن يرتدي الأولاد الأحذية إلا بعد سن السادسة . مضى عام على وفاة أمي وأنا مازلت في المرحلة الإعدادية زينب قاربت على الانتهاء من المرحلة الثانوية الزراعية .

كنا ننام على حصيرة من الهيش الذي ينبت على جانب الترع فعندما تستيقظ تجد على جسمك علامات ورسومات وأشكال كانت لمبة الجاز بلهيبها العالي الذي ينتهي بعويل من الدخان يجعل من سقف غرفتي كأنها ليلا مظلما ... كنت أنام بين ذراعي وأنظر بعيني على لمبة الجاز بضوئها الخافت الذي يرسم على سطح غرفتي حركة كحركة الجن التي كانوا يحكون لنا عنها في الماضي فأنام وأنا بين ذراعي زينب . وكانت تضع راسي على صدرها الذي لم أرى حنانا بعد وفاة أمي غير حنانها و لاعطفا غير عطفها علمت وأنا جالس في يوم من الأيام أن زينب سوف تغادر البيت في القريب فقد تقدم لها شاب من قرية مجاورة وتم الاتفاق علي كل شيء

كانت زينب كعادتها تأخذ بيدي وتذهب بي إلى حصيرتنا وكانت ليلة ليست ككل الليالي الحزن يخيم على البيت ويرتسم على وجه زينب ولم أكن أعرف ماذا يحدث وفجأة وفي أثناء نومي وأنا بين ذراعيها وعلى صدرها تسقط منها دمعة على وجهي وكأنها لسعة عود ثقاب وهي تقبلني وتضمني إلى صدرها أكثر وأكثر وتقول

بلهجة يمتزج فيها الحب والخوف اسمع أنت الآن لست صغيرا أنت رجل لا تخف عندما تأتي للنوم أغلق الباب جيدا ضع غطاءك على جسدك ولا تنظر إلى لمبة الجاز كعادتك أرجوك أيمن لا تجعلني قلقة عليك فكلها يوم أو يومين وأترك هذا البيت وأذهب إلى بيت أخر أتمنى أن أجد فيه السعادة التي فقدناها والأمل الذي رجوناه منذ وفاة أمنا الحبيبة أيمن أرجوك لاتطفىء المصباح و لأتترك باب الغرفة مفتوح أرجوك أرجوك

مر اليوم الأول والثاني وجاء يوم الخميس الذي يتم فيه الزواج في القرية ودقت الطبول وعلت الأصوات ودوت الزغاريد .

ذهبت زينب إلى بيتها الجديد الذي تأمل أن تجد فيه السعادة المفقودة والأمل المنشود قبل زواج أختي تزوج أبي من قرية مجاورة لنا من فتاة تكبر زينب بقليل لم يتردد والد الفتاة في الموافقة على زواجها فأبي له راتب معقول وبيت وهي لاتملك كل ذلك كان يوم زواج أختي يوما مشهودا ذهبت أمي وتركتني وذهبت أختي وفارقتني وهذا أول يوم لم أنم في حضنها وبين ذراعيها هذا المصباح اللعين الذي يتراقص على عويله الجني كما كانوا يحكون لنا في الماضي سأنام بمفردي على حصيري القش وهذه الرسومات التي على جسدي من الذي يزيلها وكيف أنام ؟ ولست بين ذراعي زينب كانت ليلة لم أرى لها مثيلا فقد طال الليل وتراقص الجني علي المبة كما يشاء لم يقترب النوم من عيني ولم يلامس جفوني حتى اقترب الصباح في التنفس لميلاد يوم جديد سمعت شقشقة العصافير على أشجار الصفصاف وشجرة الجميز فجاء شعاع يخترق جدار غرفتي ويحمل لي بشرى انقضاء الليل ويبدأ يومي الجديد بدون زينب أقوم رغم تعبي الشديد لكي أجد في نهاري أملا جديدا في

انقضاء سواد الليل الذي يملا حياتي وليلي بعد زواج أختي مرت الأيام والليالي على وكأنها حلم .

أنهيت دراستي الإعدادية بقليل من التفوق فقد كنت أضع همي وضيقي من حياتي التي تسير على وتيرتا واحدة في مذاكرتي .

كانت زوجة أبي قلبها معلق بقريب لها في قريتها وكنت مازالت في الإجازة الصيفية كان يومي ينقضي وأنا بين جدران غرفتي أراقب الداخل والخارج من هذه الشقوق التي في جدار غرفتي التي تدل على سوء البناء لم يكن في البيت من يعرف سر الغرفة غيري وأختي . تكرر حضور على الوزير إلى بيتنا في غياب أبي أرى زوجة أبي وكأنها عروس أسمع طرقا على الباب تخرج مسرعة من ؟ أنا يا هند على نعم يفتح الباب يتعانقان يسيران يغلق الباب أهات قبلات فجأة يسود السكون في الغرفة ماذا يحدث ؟

لم تكن هذه المرة الأول التي يغلق فيها الباب ولن تكن الأخيرة فقد تعب والدي وهو الذي قارب على الستين ولم يستطع مسايرة شبابها .وتلبية رغباتها وفي يوما كانت الآهات تعلو والضحكات تتناثر قاربت الساعة على الثالثة الغرفة مغلقة لم يفتح الباب بعد قارب والدي على الحضور . ماذا أفعل ؟ وكيف أتصرف ؟ خرجت من غرفتي وأنا أتصنع أنني أذهب إلى الحمام كنت ألبس حذاء من البلاستك عندما تمشى به تسمع لصوته دويا لم ينتبها بعد ها عدت إلى غرفتي مرة أخرى. ماذا أصنع ؟ خرجت مرة أخرى وكانت شجرة الجميز مثمرة وكان الأطفال دائما يرمونها بالحجارة فأمسكت بواحدة منها فألقيت بها علي باب بيتنا الأمن ففزعا الجميع فنفض العناق وهدأت القبلات وفتح الباب ولحظات ووصل أبي . بعد ذلك ساد الصمت بيني وبين زوجت أبي فهي تخشى من الفضيحة وأنا أخشى على والدي الذي صار كهلا في عدة أشهر كانت هند أول ا

مرآة أعرفها بعد أمي وأختي لم أكن أعرف الخيانة من قبل. انتهت الإجازة الصيفية ولم يكن في قريتنا مدرسة ثانوية سأرحل إلى القاهرة لاستكمال دراستي قابلت هند هذا الخبر بفرحة غامرة حتى يخلو لها الجو . عم مبروك خرج من قريتنا منذ زمن طويل يبيع الفاكهة على عربة يجرها على يديه أكرمه الله بعد طول عناء فاستجر دكانا صغيرا وكان يسكن على الجانب الأخر من الشارع أسرته صغيرة زوجته هانم و بنتيه نوال وهدى أرسل والدي خطابا إلى عم مبروك يعلمه بوصولي من القرية جهز عم مبروك لي سريرا في غرفة الضيوف وصلت إلى القاهرة وأنا مخطوف النظر سيارات هنا وهناك أضوء في كل مكان بنايات عالية . الأطفال يلبسون الأحذية أدور بنظري في كل الاتجاهات لم يكن لي أن اخرج من قريتي قبل اليوم مرت بي الأيام ولم يحدث مايغير الصفو بيني وبين عم مبروك فقضت عامي الأول من دراستي بتفوقي عقدت النية على السفر إلى قريتنا لقضاء الأجازة . ركبت قطار الضواحي ويدور في خيالي ماحدث لي في قريتي من فاه أمي وزواج أختي و زوجة أبي الخائنة وأتذكر لمبة الجاز وعويلها وما ترسمه على جدار غرفتي من أشياء وأشكال و أتذكر لسعة البرد في قدمي في الشتاء وليلة زواج أختي كل ذلك يدور في خاطري و أنا جالس على كرسي في قطاري الذي يسير بي و كأنة في شيخوخته .

وصل قطارنا على محطة قريتنا كانت المسافة بين المحطة وقريتنا عدة كيلو مترات كان هناك قريبا ينتظرني ومعه حماره حالة كحال الناس في قريتنا الجوع والحرمان يظهر عليه ركبت و عرضت على قريبي أن يركب معنا فرفض بحجة حب السير سرنا وكان الطريق متعرجا وفيه بعض الارتفاع والانخفاض وكلما جاء مرتفعا تسمع حمارنا صوتا يكاد قلبي يتوقف من خوفي على الحمار أن

يسقط ولا يقوم قريبي يسير خلفي وقد أنهكته حرارة الشمس و غبار الأرض وبعد عناء وصلنا إلى قريتنا وقفت أمام البيت لحظات أدور بفكري فاسترجع كل لحظة مرت طرقت الباب خرج أبي كهلا شاحب الوجه قليل الحيلة نادما على الأيام التي مضت وكيف كان يتعامل معي و أختي ضمني إلى صدره وهي المرة الأولى التي يضمني فيها . أنجبت هند طفلة صغيرة سمتها وفاء هل هي أختي أم بنت علي الوزير مرت الإجازة و كأنها عام فكل ركن في البيت يذكرني بما مضى و كل خطوة تحكي لى ذكرى ألم في قلبي وعقلي عدت إلى القاهرة و أنا في عامي الثاني من الثانوية لم يمر عامي الثاني كما مر عامي الأول بل ساءت العلاقة بيني وعم مبروك .

سافرت زوجة عم مبروك ونوال وهدي إلى قريتهم في الدلتا . كان البيت خاليا لم يكن هناك غيري وعم مبروك خرجت لمقابلة سعد الدين أحد زملاى في القرية لم يدم اللقاء طويلا عدت بعدها إلى البيت لقضاء بعض الأغراض. أسمع صوتا أم نوال هل عدتم وإذا هي إحدى جيراننا في حضن عم مبروك زوجة شابة , لرجل مسن ,ريق حديثها وهمسها يسيل كأنه شعاع البدر ناصعة البيض شعرها كموج البحر رأيتها وكأنها فارقت الحياة وهي بين أحضان عم مبروك الجمال والحيوية يملأنها . ساد الصمت بيني وبين عم مبروك كما ساد قبل ذلك مع زوجة أبي . انتهى عامي الثاني بالتفوق وانتهى معه وجودي مع عم مبروك و عدت مرة أخري إلى قريتنا لقضاء إجازة الصيف أرسل عم مبروك خطابا لوالدي يتضمن اعتذارا عن استضافتي هذا العام . كان سعد الدين يقضى أجازة الصيف معي تحدثت معه وأبدى استعداده لاستضافتي حتى يتوفر لي السكن وسافرت معه كانت بداية العام صعبة بين الدراسة والبحث عن سكن مرت كما يمر كل شيء وضع سعد كل همه للبحث لي عن

غرفة . شاء الله و لم يمض أسبوعا حتى أكرمنا الله بغرفة جميلة متطرفة لكنها قريبة من المدرسة لم يكن أول يوما لى في الغرفة يوما عاديا بل كانت نظراتي حائرة إلى كل شيء حولي لم نقضى وقت طويل من عامي الثالث بل مازلنا في بداية العام . بدأت أمارس حياتي في غرفتي الجديدة . كنت أصحو مبكرا فالمسافة بين غرفتي والمدرسة طويلة بعض الشيء ولم يكن معي النقود التي أركب بها لا اذهب إليها وكان سعد الدين يأتي من وقتا إلى لاخر لزيارتي ثم يعود إلى غرفته ويترك معي الوحدة والعزلة و في يوم من الأيام بينما أنا ذاهب إلى المدرسة أسمع صوتا صباح الخير لا أحد يعرفني ولا أعرف أحدا أرفع عيني فأرى وجها كوجه الملائكة وجمالا كجمال الحور وابتسامة كابتسامة البدر وأرد وكأنني فاقد الوعي ..... ابتسام تدرس معي في مدرستي تسكن بالقرب من غرفتي في الجهة المقابلة من الناحية الغربية توفيت والدتها منذ عدة أشهر .... الريس زغلول أحد سائقي قطار حلوان كان لأولاده الأم والأب تكررت التحية وتكرر ردى استمر ذلك عدة أيام . كنت خارجا من المدرسة وقد كانت أجازة نصف العام قاربت على البداية حاولت التماسك بكل قوتي حتى أتحدث معها وحدث ما كنت أتمناه وجاء اللقاء لم أكن أتخيل جمالها وحسن حديثها وسهام عينيها لم أقاوم نظراتها وحديثها وحملتنا أقدامنا إلى حديقة الحب لم أكن أعرفها ولا أسمع بها جلسنا لدقائق دون كلام ولكن العيون تتحدث لم ينطق اللسان ولكن الأيدي تتلامس والدفء يملأ قلبينا رغم برودة الجو والطيور تغني والأغصان تتراقص الأوراق تتساقط الكل سعيد بلقائنا .. تكررت اللقاءات ذابت القلوب وأصبحت لا أطيق البعد عنها للحظات رغم ما يدور في نفسي من صراعات. فلا أثق بالنساء فقد عرفت الحياة على خيانة زوجة أبي ,وخيانة عم مبروك , وهذه

المرأة الجميلة التي لاينقصها من الحياة إلا الأمانة.. أستكون أبتسام خائنة كباقي النساء لم ينته الصراع بعد ولا أستطيع أن أبتعد فكنت أحلم بالحب وأتمنه و أحلم بمن ترعاني ومن تنتظرني في المساء و أحلم بها ليلا و أستيقظ على نظراتها وهمسها إذا أنمتني الهموم ....أم محمد صاحبة البيت الذي فيه أسكن لها من الأولاد ثلاثة ومن البنات أربع كانت إيمان في سن و فصل أبتسام كان لقاؤهم قبل حضوري قليلا بعض الشيء حاولت أبتسام أن تأتي إلى غرفتي وتعرف تفاصيلها وأماكن نومي وطعامي تصنعت المذاكرة مع إيمان وحضرت إليها وصعد الاثنان على سطح البيت الذي فيه غرفتي لم يكن هناك من يسكن غيري علي السطح .. سافرت أم محمد إلى قريتهم في محافظة الفيوم لقضاء إجازة نصف العام صعدت ابتسام إلى بيت أم محمد وهي تعرف أنها غير موجودة وأكملت صعود السلم ووصلت إلى غرفتي الباب يدق وقلبي يدق فتحت الباب وكان الصمت سيدنا والسكون رفيقنا .. جلسنا ويفصل بيننا طاولة صغيرة ولكن لم تدم ولم تفصل الحواجز حبنا و الإخلاص يملأ قلبنا كنت أحس بأنفاسها المضطربة ويديها التي تهتز وعينيها التي يغطيها الرموش.. تلامست يدانا وخفق قلبانا واقتربنا تلامست الشفاه وكانت القبلات كالشهد المذاب مضى علينا وقت طويل وهي في حضني وأنا بين ذراعيها لم نستيقظ إلا على نسمة هواء باردة تطل علينا من ناحية بيتها تكرر اللقاءات في غرفتي وتكرر نومي بين ذراعيها وهي في حضني أيمن تأخرت كثيرا ... أرجوك اتركني سوف انتظرك غدا .. حضرت أم محمد من الفيوم .ومعها أولادها مضت الأيام والامتحانات على الأبواب ولابد من المذاكرة والتفوق مرت الامتحانات واقتربت النتيجة من الظهور لم أسافر إلى قريتي بعد الامتحانات بل انتظرت بعض الوقت .. ظهرت نتيجة الثانوية وقد

حصلت على مجموع يدخلني كلية العلوم قدمت أوراقي إلى مكتب التنسيق وتم قبولي في كلية العلوم قسم الفيزياء . سافرت إلى بلدتنا ومكثت في غرفتي لا أتكلم ولا أقابل أحدا و يدور في خاطري صراع بين الحب والخيانة بين خيانة هند وعلى و مبروك و هانم وبين حبي لابتسام استمرت تطاردني في أحلامي وفي يقظتي وكأنها سر وجودي وحياتي كيف أعيش ؟ وكيف أمضي ليلي ؟ وأعيش نهاري كيف أقضى على صراعي ؟ ضاقت بي الحياة هل هي مثلهم؟ النساء جميعهن خائنات ساء حالي وقل نومي وأصبحت أواصل الليل بالنهار حاولت أبتسام أن تتصل بي و أن ترسل لي خطابات وصلتني و لم أحاول قراءتها ساء حالي أكثر لم يقترب النوم من جفوني ولم تغمض رموشي ولم يهدأ قلبي . أبي حالة أيمن تزداد سواء حار الأطباء ولم يكتشفوا مرضه ولم يعرفوا علته . زينب امكثي معنا اليوم خذي أيمن بين ذراعيك وعلى قلبك كما كنت في الماضي أيمن أتذكر يوم وفاة أمي , نعم وكانت لي الأم والأب , أتذكر لمبة الجاز , أتذكر يوم زواجي . أتذكر شجرة الجميز .وكيف كنا نجلس تحت ظلها في حضن أمنا أتذكر يوم زواج أبي أيمن أستريح ولا ترهق نفسك فأنت متعب زينب خذيني بين ذراعيك ولا تتركيني .زينب لقد أحببتها كحبي للحياة , ففراقها فراقا للحياة , فهي دمي الذي في شريني ,وقلبي الذي يخفق بين ضلوعي أيمن هون على نفسك و في الصباح سوف يكون الفرج . نام أيمن بين ذراعي زينب نام و لم يستيقظ ,نام ولسانه ينطق ابتسام ابتسام ابتسام ., مات أيمن ومن الحب ما قتل ولم يعرف أحدا سبب الوفاة مات أيمن , ومات معه الحب , مات معه الوفاء .

الكاتب في سطور

إيهاب محمد همام عبد الرحمن الشهره / إيهاب همام

تاريخ الميلاد 1972/1/1

العنوان / مصر – محافظة المنيا – مغاغة – منشية الجزائر

محمول / 01009015575 أرضي / 0867566640

البريد الالكتروني : Ehab502013@yahoo.com

عضو مؤسس بجمعية إبداع الثقافية

عضو نادي أدب مغاغة / عضو جمعية مبدعي مصر

عضو جماعة النِّيل الأدبية / عضو الجمعية المصرية لرعاية المواهب

مطبوعات : طبع له مجموعة قصصية (لقطات قصيرة) تم نشر قصصه في جريدة الأهرام المسائي – مواقع أنترنت مختلفة – جرائد ومجلات أدبية مصرية وعربية ، حصل على مراكز وشهادات متعددة في مسابقات القصة القصيرة والقصيرة جداً، في مسابقة القصة القصيرة للشاعر أشرف مأمون وغيرها

(1) فشل

****

لملمت كل شهاداتي ، خرجت للبحث عن عمل،سدّت كل الأبواب في وجهي في فى طريق العودة، عاصفة هوجاء تحتظن كل أوراقي..!

(2) صدمة

****

تراه كل يوم في العمل، أعجبها، تمنته زوجا لها ،ترتعش كلما صافحها ، ترتفع حرارتها كلما سمعته ينادي ساعي ليشرب قهوته اليومية، تمنت أن تكون من يدها ، في أحد الأيام جاءته فاتنة،إشتعلت نار الغيرة إفتعلت الأعذار لتدخل ، صفعتها بكلمة : الأولاد ينتظروننا علي الغذاء ....!!!

(3) مخرج

****

صرخات .... آهات .. عويل .. أصوات متداخلة .. اختلطت كل الأشياء ...تلاشت الألون لتصبح ..لونا واحدا هو الأسود .... يريد أن يبحث عن مخرج .... وجده أمامه احتمي به ..... ما زالت الاصوات تعلو تعلو حضنه ... ربت على كتفه .... ذاب فيه .

(4) قلمي

****

كنت أكتب قصة قصيرة ، أتناول فيها ما يدور حولي من مآسي و أفراح دخلت ابنتي رنا بنت الست سنوات من عمرها ... كانت بيدها زجاجة عصير .. وقفت أمامي .. عصفت بالأوراق والأقلام سقطت على الأرض ... ركضت خلفها .. هربت إلي حضن أمها .. لحقت بها ، وقفت زوجتي تنظر إليّ وضحكت . عدت إلى مكتبي جمعت قصصي مزقتها وحلفت ألا أعود إلي كتابة القصة قبل أن تنام رنا ..

(5) خيانة

****

أحبها بجنون ،كان يجلس بالساعات معها، يبني نفسه وهو بجوارها، فيإحدى مواعيده معها وجدها بصحبة أحد أصدقائه ،تضحك وتميل عليه بجسدها وهو يطلق النكات البذيئة ، ظهرت شرارة الغضب في وجهه أحست به ، خافت على نفسها منه

إختفى ،عاد حاملاً مسدسا وأطلق الرصاص عليهما ثم إنتحر نفسه .

(6) خيبة امل :

****

الخوف يزداد ،أوصاله ترتجف .. بعد قليل سيصل حيث اختبار الوظيفة ،جلس أمامه رجال غلاظ القلب ذو شوارب كثيفة، زاد ظمأه نظر إليهم باستعطاف ، لم يلتفوا له جف حلقه ،نادى أحدهم على السكرتير ،أخذوه إلى خارج الغرفة مؤكداً له أنه ثم رفضه من اللجنة .

(7) مشوار

****

سنوات وسنوات وهم يشيدون حوله الأسوار العالية الشاهقة، ..... ولكنه كل مرة يصعد ويتخطى الأسوار ، جاءوا بأسوار أعلى من ذي قبل ،حاول الصعود ، نجح ولكن وجد أمامه بحراً عميقاً ..... سبح حتى وصل إلى الشاطئ وجد أمامه حراسا مسلحين أرادوا الفتك به ،تذكر أن معه قلم يحميه ..... فخرج سالماً بدون أذى .

(8) روتين

****

يفيق صباحاً يأتي بالإفطار ،يتناوله بعجل يذهب بإبنته إلى الحضانة ، ليعود إلى مكتبه لكتابة قصة أو مجموعة قصص
يرجع للبيت ، يسمع صراخ زوجته: لا تنسي دفع فاتورة الهاتف والكهرباء ....
يقفل الباب بعنف ويرجع الى عمله ،مضيفاً إلى برنامجه اليومي دفع فاتورة التليفون والكهرباء ...
ويدعو اللهً ألا يرى زوجته كي لا تتذكر فواتير آخري !!!!....

(9) ناقد

****

قابلني بعد أيام من صدور مجموعتي القصصية الجديدة ، ماهذه الخزعبلات!!

القراء لم يفهموا شيءً! حتى النقاد رفضوا نقدها، ابتسمت وقلت: إذا نجحت فى كتابة القصة القصيرة ..!؟

(10) شموخ

****

بعد معركة شرسة ،تناثرت الدماء فى كل مكان ،سلم عليه الجميع مهنئاً ، وقف ثابتاً أمام مستقبليه ، أحصى خمسة رصاصات غدر بجسده ... أعطي لكل واحد منهم رصاصة ولما طلب منه رصاص آخر ، وعدهم إن كان في العمر بقية ....!!!

(11) طريق طويل

****

دائما أنسحب بهدوء من عالم البشر ، آوي الى حياتي المحدودة ،فهي لا تحتمل احداً غيري رغم اتساعها ،حيث أشاهد كل الأشياء بمنظور آخر؛ فالطريق طويل بين جسدي وروحي .. لكني أطمح دائما الى العلو .. أترك الضوء يتسلل إلى جسدي .. حيث تجلى لي خيط من أمل .. أغمض عيني مكافحاً مشاعري .. أفتحتها... سرعان ما أجد كومة سوداء لا شكل لها .. !!

(12) مداعبة

****

تناوش مع زوجته ، غادر الغرفة وغط في سبات عميق، استيقظت مبكرا أعدت له فطورا شهيا، داعبت خصلات شعره، مالت عليه طبعت قبلةعلى خده، قالت له أعذب الكلمات، ابتسم ابتسامة حنونة، قال: عانيت طوال الليل من صوت شخيرك.

جمعه عبد المنعم يونس
من مواليد محافظة المنيا .مطاى .ابوان
كانوا يظنون اننى اراجع دروسى ..
وانا اقرأ الشعر ولفافات التبغ خلسة ..
ترعرعت فى حوارى نجيب محفوظ وجمال الغيطانى
وعبد الرحمن الشرقاوى
وشعر نزار قبانى والبيرونى والبياتى
انا من طين الارض الطيبة وابنها
اشكل احرفى ولوحاتى والعابى
ومن كفاح الاباء والاجداد
استمد منهم الهمة
وعدم الياس
وحب الارض والاوطان
جمعه يونس

(1) فاعل خير

****

الى صديقى الجميل (أ . ف) الذى أحبه ..وأعرف أيضاَ انه يحبنى كثيراَ

إنه من أوحى إلى بهذه القصة

كم هى قاسية تلك العواصم الكبيرة ..فوق رصيف الحياة أخطو أتلفت حولى فى هذه المدينة الكبيرة الصاخبة ..لا يعرفنى أحد ولا أعرف أحداَ فيها..أخطو كتائه وسط أمواج من البشر ..الجميع يتسابق هنا من أجل ان يصل ...أمضى مسرعا كأنى لص خائف أو كأنى أتلقى الصفعات من خلفى ..وسؤال يحيرنى ..لماذا جئت الى هنا ..؟ ...لم يعلمونى هؤلاء العباقرة اللذين قرأت لهم الحيطة والحذر ..كل ما تعلمته منهم الحب والعطاء الأنسانى والمثالية المفرطة

أصطادتنى بغى فى مكان هادىء ..كأنها عرفت بخبرتها إننى غريب تائه

أغرتنى كثيرَ كأنها عرفت أننى جائع بلا مأوى

فذهبت معها ..!!

صعدنا سلماً وفتحت الباب ..

شقة هادئة منظمة أضوائها خافتة ...

أدخلتنى الى حجرة الصالون ..

أحضرت لى عصيراً ..وقالت دقائق وأكون جاهزة

أخذت رشفة من العصيرة وأنا فى حيرة من أمرى

خائف أن يكون هناك فخاً نصب لطائر غريب ..

بدأ على الأرتباك الشديد ..

أنتبهت من شرودى على صوت شاب

أزيك ياعمو ..!!

قمت صافحته بحرارة كأنى وجدت أنيسا لى
قال بصوت رقيق ..
أمى فى إنتظارك
نعم..!!
أمى فى أنتظارك ياعمو
صعقت كأن الأرض تدور بى
عمو ..ماذا بك يا عمو ..؟
أخرجت حافطتى من جيب سترتى بصعوبة ....وأخرجت نصف ما فيها ...وضعته على الطاولة
وأنا أفر من أمامه
نزلت السلم وأنا أستند الى الحائط كأنى أغوص فى بئر سحيق لا قرار له ..
على الرصيف تنفست الصعداء أخطو
أخاطب الحياة وأسألها
ماذا فعلت لك ..؟ لماذا تصفعيننى هكذا ؟
على محطة الاتوبيس سألت رجلا عجوزاَ
كيف أصل الى محطة رمسيس ؟
قال أركب أتوبيس رقم (...)
فى الأتوبيس ..صاح الكومسرى ..حافظة من هذه ..!!
ألتفت اليه .. كما فعل كل الركاب ..كانت حافظتى.. نسيت ووضعتها فى جيب المعطف ..فسرقتى اللص
أعطاها لى فوجدت باقى ما أملك قد سرق ..
لم يسألنى الكومسرى عن ثمن التذكرة ..
فى القطار المتجة الى مسقط رأسى ..أخطو حزينا مرهقا ..يكاد أن يغمى علىّ من شدة الجوع

وجدت مكاناً فارغاً فجلست به ..
بعد قليل جاء رجلاً متأنقا يحمل بيدة شنطه جلس بجوارى أخرج جريدته وأخذ يتصفح فيها .وأنا من شدة الأعياء
شعرت بالبرودة تسرى فى جسدى ..أغلقت المعطف بعد قليل غفوت صحوت على جلبة ..
ربما مر قطار أو حدثت مشادة ..
لا أعلم أين وصل القطار
الكومسرى أمامى الأن...
همست بأذن الرجل المتأنق لا يوجد معى إى أموال ..سرقنى لص ..أدفع لى ثمن التذكرة أرجوك!!
فهب من مكانه واقفاً ورجع الى الخلف بعيداً عنى ..
لا حظ الكومسرى همسى الى جارى ..كأنه سمعنى .وكذلك إرتباكى حينما سألنى ..
أين تذهب .؟
تلعسمت قليلاً وأنا كأنى غريق أخرجوه من الماء ..
أين تريد أن تذهب .
.سيدى ليس لدى أموال لقد سرقت
قلت (.....)
فأعطانى التذكرة وقبل أن يمضى
صاح على أحد الباعة فى آخر العربة ..هات فطيرة وبيضتان وكوب شاى هنا على حسابى ..
لم أرد من شدة الخجل ..
جاء البائع أعطانى ما أمره به الكومسرى وذهب ..
أتناول طعامى الأول فى هذا اليوم العصيب بنهم بالغ وخجل كبير

شربت الشاى أحسست بالدفء يسرى فى أوصالى
أنا فى نصف المسافة الأن ...
قليلاً وجاء رجلاً وقورا ً جلس بجانبى ...أخرج
مبلغا كبيراَ من جيبه
وأنا أنظر اليه فى ريبة
قال
خذ هذا المبلغ ..ومضى
بتردد أخذته
يالله .....أنه نفس المبلغ الذى كان فى حافظتى قبل
أن تصطادنى البغى ..!!
لمحت الرجل الوقور فى نهاية العربة
صحت سيدى ..ياسيدى ..أعطنى أسمك وعنوانك كى
أرد لك جميل كرمك
فأبتسم ضاحكا وقال
فاعل خير

****

(2) لعب عيال

****

. كنا فتيان وفتيات نلهو معاً يومياً
. كانت دائما ما تكشف لى عن سر أسرارها وهى تتعمد ذلك
.. وتدعى أنها غافلة
. وأنا أنظر خلسة مذهولا . أدعى أنى غافل أيضاً عما غفلت هى عنه
. أتطلع بعيون متفحصة على عالم جديد .وأسرار جديدة
..فى الليل
كنا نتجمع تحت مصباح الكهرباء الوحيد فى الشارع الكبير كى تلعب ألعاباً مختلفة
.. فى هذه الليلة المظلمة يكون للتخفى متعة أكبر والألعاب مشوقة
!. أقترحت هى أن نلعب لعبة جديدة
!.. عريس وعروسة
. فأتخذتنى عريسا لها.
... زوجتنى نفسها دون بقية الصبيان
وقام الرفاق بعمل زفة فرح تتشابه كثيراً من ليالى الأفراح التى كنا نسعد بها ..
وذهبوا بنا الى مكان داخل زقاق مظلم لا يمر به أحداً أختفوا.وطوح بها شوق اللهفة الى العناق والأكتشاف الأول ..
فلما تعرت لى أضاء ت الزقاق ابهرنى بياض جمالها البكرفى سكون . الظلام ..فصرت أعربد كى لا يدركنى الزمن وتضيع منى أجمل الفرص التى تأتى مرة واحدة ولا تتكر
طفل كبير أنا
أخذت بأناملى أستكشف العالم الجديد ببراعة وجرأة لم أعدها عن . نفسى من قبل ..
والعتمة تحيط بنا من كل جانب .. ولا نسمع إلا صوت أنفاسنا التى تنهج .. . وشفتهاها تستجدان بنهم بالغ غمار التجربة الاولى حتى ترتوى كأس الثمالة عن آخره .بينما رفاقى يلعقون شفاهم فى نهاية

. الزقاق
.. أرتعشت كأنما لدغها عقرب
وأرتعشت أنا من وكز عصاة أبى فوق خاصرتى
.. أهرول وأنا أسابق الرياح
وأنا أعلم تماما أن أبى لن يلحق بى .فقط قضى دون أن نهائيا دون أن يدرك على تجربتى الجميلة بوخز العصا
.. التى لو طالت عريها لصرخت ..وكانت الفضيحة مدوية لى ولها
دلفت الى حقل الذرة .تنهج انفاسى بقوة ..جلست مكانى فى سكوت اترقب الموقف
أعددت لنفسى مكاناً للمبيت ..النخيل حولى نائم وساكن .. يستعد لأن يقدم لى فى الصباح وجبة ألأفطار .. السكون مخيف ..صمت وظلام .قابض إلا من ووشوشة طيور الليل فوق النخيل
فر النوم منى ..وسيطر الخوف وطارت الأحلام منى..وأنا أفكر كيف أقضى ليلتى .فى هذا المكان الموحش ..
.. طفل كبير انا
.. و أمى التى أضناها البحث عنى دون جدوى
.. كأنى أسمع صياحها الأن مع أبى والدموع تسح من عينيها ..تتسائل لو أعرف أين أختفى ؟
!.. أبنك كاد أن يوقعنا فى مصيبة كبيرة
..أبنى عاقل
!. أنا رأيته بأم بعينى
!.أنت تتحامل عليه كثيراً
!!.. علشان يصير راجل
!.. أبنك الوحيد تقصو عليه هكذا
.الله يسامحك
!!..أحس أن أبى بدأ يتململ الأن شفقة وحزناً علىّ
!. يشعل لفافته بعصبية
وهو يهرب من عين أمى الباكية.
أتمنى لو أستطيع الان العودة اليهم ..رحمة بهم ..أنهم يتمزقون من

. أجلى
.. أى تحرك منى الآن غير مضمون العواقب
.. على السكون التام
ساعات قليلة وينبلج الصباح معلناً ميلاد رجل جديد
أبكى بصمت حزناًعلى أمى
!. لا تحزنى ياأمى ولا تخافى
.. لقد أكتشفت من ساعات قليلة أننى أصبحت رجلا
...على لسانها
!.. أنت داهية
لست خائفا من الظلام ولن تخيفنى أشباح الليل ..ولا عواء الذئاب ..
!. بعد الأن
ترى من الذى وشى بنا من الرفاق ؟
!. أكاد أجزم أنه هو الصغير المكير
!. أعرف تماما أنه يبغضنى كثيراً ويغار
!..فى غفلة تسلل وأخبر والدى وقضى على أجمل متعة
وجعلنى أنام بين أعواد الذرة وحيداً لأول مرة فى حياتى
.لقد أكتسبت تجربة حديدة الان
النوم بدأ يتسلل الىّ رويداً رويداً والأحلام تطاردنى
غفوت رغماً عنى
لم أدرى إلا بشعاع الشمس يتسلل بين أوراق أعواد الذرة الى عينى
. يوقظنى
جلست سعيداً ..وأنا جائع جداً
أسرعت الخطى الى البيت . أستقبلتنى أمى فى أحضانها فرحة بعودتى
.. سالما
تناولت طعام الأفطار ..لبست ملابس جديدة تليق بالرجال ..تعطرت
.. ذهبت الى عروستى كى أطمئن عليها
.. فلم تعطينى إلا اليسير جداً من نهديها
****

(3) تخاريف ليلية

****

لا أدرى إن كنت أشنق الوقت ..أم هو الذى يشنقنى ...أصلب النص أمامى وأجلس على المنضدة ...عليها الأقلام والأوراق المسطرة وعلبة السجاير ..وطفاية وولاعة وكوب شاى ..لاأدرى إن كنت أنا الذى ذهقت منه أم إنه هو الذى طهق ...بعد قليل أنا أعرف ذلك سينقلب فوق الأوراق ويتلفها
ورق من جريدة قديمة ملقى على الارض ..
النص مازال مصلوبا أمامى
أشعل سيجارتى وأمسك بالقلم ..وأكتب أول جملة ...فتهرب منى إلى آخر السطر
النص فاعل ام مفعول ..؟
يتملص منى ويراودنى ..
أتركه بينما عيناى وقعت على صورة كاركاتيرية للفنان مصطفى حسين ..(1)
لرجل ذو عضلات مفتولة وشوارب ..بيده حبل غليظ فى أخره حلقة تشبه المشنقة ..!!
شدتنى طويلا ً أردت أن أكون مكانه كى اقوم وأشنق ..هذا النص المراوغ
أستفزته نظراتى
فقفز من الصورة وحط فوق رأسى
ووضع الحلقة فى راسى ورمى بالحبل على المروحة
ثم ربط طرف الحبل فى رجل السرير
ورجع الى مكانه فى الجريدة يضحك

هاأنا أصبحت معلقاً من رقبتى ..
وأنا فى دهشة من أمرى
فر النص لما رأى ذلك من فتحة صغيرة فى شيش الشباك
وهو ينظر لى نظرة وداع
لا أدرى أن كنت أنا الذى أدور مع المروحة
أم إن الحيطان هى التى تدور حولى
عيناى بدأت فى الجحوظ
وخرج لسانى من فمى ..ورأسى بدء يميل على كتفى ...نهايتى محتومة الأن
السيجارة مازالت فى انامل
أحس بنارها التى أقتربت من أصابعى
ليتنى أستطيع أن أخذ آخر نفس بها
لاأدرى كم من الوقت مر على وانا فى هذة الحالة
جاء النص متلصصا يتقافز حولى
حل الحبل المربوط فى رجل السرير
سقطت جالسا مكانى الهث
على المنضدة .!!
أخذت آخر نفس .!!
وبدأت أفحص الأشياء على المنضدة
حمدت الله أن الرجل المفتول العضلات
لم يسرق علبة سجائرى

****

(4) ليلة الحناء

****

كم من النهارات مرت....
وكم من المساءات وأنا لم أكن أدرى بها.....
أتعلق دائما بصدر أمى ..أصحو وانام على ذراعيها ....ألهو أتنقل من أيدى أمى الى أيدى ابي ..حتى أنام وأنا لا أدرى الليل من النهار ..أتنقل كالعصفور الاخضر الذى يغرد فى عشه .. وأمه التى تحوم حوله وقريبا منه وهى تراقبه دون أن يدرى!!..
شيئا فشيئا بدأ العصفور يخرج من عشه الصغير ...!! وعيناه ترى مدارات وافق اوسع ..!! بدء العصفور يتقافز حول العش ..!!.وأنا بدأت أخطوا مستندا على الجدار حتى الباب المطل على العالم الكبير الذى أذهلنى فعدت أدراجى مسرعا لاحضان أمى من جديد!!...
هنا فقط بدأت الاشياء تتشكل أمامى ..وان عالمى الصغير سوف يتغير بمرور الوقت!!..
.بدأت أخطو دون مساعدة من الجدران ..!! .أطل على العالم الكبير وأتحرك فيه رويدا رويدا ...أخذتنى اقدامى الى بيت الجيران ...من هنا بدأت فى اختيار اصدقائى ... ولسانى الذى بدء ينطق الكلمات يتلعثم فيها ..وأنا أراقب حركات شفاة أمى وأبى واخواتى وهم يتحدثون فيما بينهم كى أتعلم منهم الكلام ..هاهى عيناى الصغيرة تتنقل من فم هذا الى ذاك الى هذه!!..
وهم يتحدثون دون ان يدرون ان عيناى تراقبهم بشغف بالغ!!...
أتذكر عندما بلغت عامى الرابع .. صحوت صباحا وجدت نقوش الحناء الجميلة الزاهية على كفوفى وأقدامى...عندما رأتها أمى

فرحت كثيرا...لأنها هى لم تفعل ذلك... وأن الملائكة هى من قامت بذلك ...!!!.فأشتريت لى ملابس جديدة بيضاء تشبه كثيرا ملابس العريس .!!.تلبسنى اياها كل مساء ..!!وعندما أصحو فى الصباح تنظر بخلسة الى ما بين افخاذى..!! تحزن قليلا لان شىء ما لم يتغير ... ومازال الامل يراودها عامين كاملين ..!! ولم يتغير شيئا..!!
عندما حان دخولى الى المدرسة كان لابد من أجراء العملية التى لم تقم بها الملائكة!!!..
فى ليلة جميلة كانت كل النساء وبنات الجيران فى دارنا يغنون ويرقصون وأنا بينهم فرحا كعريس صغير ...ويضعون فى يدى نقود كثيرة لم اكن أحلم بها يوما ....بينما أمى توزع الحلوى والشربات طوال الليل وأنا أتقافز سعيدا بينهم .. ثم حنونى بالحناء وأقبضوا أكفى عليها ..جلست بينهم مستمتعا ..لاأدرى متى غفوت
فى الصبا ح وجدت العجل الصغير الذى كنت الهو معه ويلهو معى فى حوش الدار قد تم ذبحه ..وهم يطهون لحمه الان ..ورجال كثيرة... كل الأهل والجيران جاءوا..يتناولون الطعام ثم يعطوننى نقودا كثيرة ..!! ويمضوا الى الخارج ..ثم تاتى طائفة أخرى وأخرى يتنابون على الطعام وفى كل مرة تزداد النقود بجيبى ..وأنا ماخود قليلا أترقب الاحداث بخوف
فى الضحى جاء رجلان لم أكن أعرفهم من قبل .ولم أكن أدرى أنهم جاءوا كى يقوموا باجراء العملية التى لم تقم بها الملأئكة...!! لان أمى افشت بالسر الى أحدى نساء الحى ..!!...فقام رجل غليظ القلب بحملى بين يديه وقام تكتيفى من الخلف والأمام .....وجاء الرجل الأخر وبدأ عمله بين أفخاذى وسط صراخى الشديد ... والنساء يغنون ويرقصون فوق صراخاتى المجنونة ودموعى..
عندما قام الرجل ألأخر بقطع الجلدة الزائدة من الأمام . أمام أنظارى

وبكائى وأنظار وضحكات هؤلاء الرجال اللذين لم يشفقوا على صراخى فما كان منى الا أن تبولت فى وجه حتى أغرقته ...هدأت نفسى قليلا عندما رأيته مبللا مكسوفا ً أمام الرجال وكل من فى الدار يضحك عليه ...!!ثم عاد كى يكمل ربط الجرح ...ثم دثرونى بملابسى بعدما وضعوا شاش كثيرا حتى لا اتالم..

وضعونى وسط النساء والبنات التى مازالت تغنى وترقص .وأمى تبكى بحرقة وتاخذنى منهم برقة حنونة

تعلو وجهها شبه ابتسامة باهتة بين الدموع ..أجلسونى على أقدامها .. وبدأت تطعمنى الكبدة والحلوى ..وتسرى عنى بابتسامتها الجميلة .. والجميع حولى يحاول أسعادى ويلهون معى...فى المساء

وضعتنى أمى فى الماء الساخن ومطهر أحسست بالالم قليلا.. .. ثم سهروا يغنون ويرقصون حتى غفوت!!...

فى ضحى اليوم التالى جاء الرجل الذى تبولت عليه بالامس فاخذت أضحك بشدة وسط استياؤه ... تذكرت وجه عندما غرق بماء بولى وهو يرمش بعينيه وفمه يطلق السباب .. فأخذتنى نوبة من الضحك الهستيرى على هيئته وهو غارق بينما يدة التى كانت ملوثة بدمائى تتلقى النقود!!....

منحته أمى نقودا!!..

أخذ فى عمله بان وضعنى بعنف فى الماء الساخن وأنا خائف ..أترقب أفعاله ..حتى تشبعت قطعة الشاش بالماء والمطهر وسقطت بمجرد أن لمسها ثم قام بتطهير الجرح وربطه من جديد ..ثم مضى .وأنا سعيد بأن كل ألالام قد زالت...

وسعيد أيضا بأننى رأيت أنكسارالرجل غليظ القلب!!...

أمام الناس!!... وأمامى!!..

****

(5) رائحة الموت

****

أنهم يطرقون علىَ الباب ...يبدو أن قفل الباب لايساعدهم فى الفتح ...هيكلى العظمى يرقد الان بلا ستر بجانب الحائط فى ذلك القبر الضيق ...لا أدرى كم مر على هنا ...يبدو أنه منذ زمن بعيد ...عظامى المتأكلة تقول ذلك ..أنهم يطرقون الان بكل قوة فوق القفل ..يبدو أنه أكله الصدا وعوامل الزمن ... مهلاً أيها الاوغاد ..!! انكم صرعتم كل سكان القبور ...أنا أسمعهم الان أنهم يتململون يتزمرون من ضجيجكم ...

أخيراَ توقف الطرق الشديد وفتح الباب الحديدى الضيق ..ودخل الهواء والضوء الى القبر لاول مرة منذ زمن بعيد ..خرجت رائحة الموت تتجول الأن فى الهواء الطلق ...عظامى بدأت تتفكك نتيجة الهواء الجديد ..أسمع طقطقتها وأحسها ..بعد قليل دخل رجل القبر ..تلاه الثانى ..وهم يتلون بعض آيات الذكر الحكيم ..بعدها بداؤا يهمهمون ويتهامسون ..يبدوا أن هناك وافداَ جديداَ سيأتى بعد قليل ..أعدوا له مكان بجوارى ..فرشوا فيه رمل جاءهم من الخارج . يبدو أن هناك أحداً يساعدهم أستأنثت بهم قليلاً ...ثم خرجوا ينتظرون الوافد الجديد..!!

عظامى بدأت تشعر بالبرد ..فغفوت ..!!

أستيقظت على صوت دبيب أرجل كثيرة وهمهمات عالية ..يبدوا أن الوافد قد أتى .نزل الى القبر ستة رجال واحداً تلو الاخر .. زحام شديد حول الباب الضيق قطع الهواء والنور عنى

لم أعد أرى شيئاً ..يبدوا أنهم أنزلوا رفيقى الأن ..أنهم يفهمون بعضهم بعضا بنظرات الأعين ..أرقدوه بجوارى ..فكوا عنه..
سوف أعرف بعد قيل من هو ..!!
كل ذلك وأنا أحاول أن أتجنب بعيداً عن أقدامهم ..أخذت أقصى مكان بجانب الحائط ..حتى لا يدوس أحداً منهم على عظامى المتهالكة فى غفلة منه دون أن يدرى
خرجوا واحداً تلو الآخر ..أغلق الباب الصدىء بشدة
حل الظلام مرة اخرى.. همست بأذنه
مرحبا ً بك هنا ..!!
حيث الظلام والتراب ..!!
ورائحة الموت..!!

****

جمعة يونس

تمت بحمد الله

الفهـــــــــــــــــــــــرس

1	بطاقة الكتاب	2
2	عبد المنعم يوسف حسن	5
3	ايهاب همام	43
4	جمعة عبد المنعم يونس	50